مختصر تاريخ البصرة

بقلم

علي ظريف الاعظمي

(مؤلف تاريخ ملوك الحيرة وتاريخ الدول)
(اليونانية في العراق وتاريخ الدولة)
(الفارسية في العراق وتاريخ بغداد)

طبع على نفقة صاحب المكتبة العربية
نعمان الاعظمي الكتبي



مطبعة الفرات * بغداد
١٣٤٦هـ
١٩٢٧م

المقدمة

لما كان الاقبال على المباحث التاريخية يزداد يوماً فيوم في قطرنا المحبوب وكانت رغبة النشؤ الجديد كثيرة في الاسفار التاريخية والمصنفات العلمية و كانت مدينة البصرة من المدن الاسلامية الكبرى التي لها شأن عظيم في تاريخ العرب اهديت هذا المختصر الى صاحب المكتبة العربية السيد نعمان الاعظمي لما له من الولوع في خدمة العلوم والاداب على ان ينشره خدمة لهذا العلم الجليل ، وتسهيلاً للقراء جعلته فصلين يتضمن الاول منهما ذكر ما تمكنت من جمعه من تاريخ البصرة القديمة منذ تأسيسها الى حين خرابها وما حدث فيها من الانقلابات السياسية والوقائع الحربية والتغييرات الادارية وغيرها . و يبحث الثاني عن تاريخ البصرة الحديثة (الحالية) منذ عمرت حتي انقراض الدولة العثمانية.

ولما كنت معترفا بقلة بضاعتي ارجو ممن يجد لي هفوة او زلة ان يرشدني الى الصواب لاصلح موضع الخطأ في طبعة اخرى . كما اني ارجو من القراء ان يعذروني عن ذكر الحوادث التي حدثت بعد افول هلال دولة الاتراك لما اخشاه من الوقوع في شرك يصعب علي التخلص منه .

الفصل الاول

البصرة القديمة

تمهيد

كان في عهـد الدولة الساسانية الفارسية (٢٢٦ — ٦٥١) م (١) في جنوبي العراق بين دجلة و كارون امارة فارسية تسمى امارة ميشان (٢) كان مركزها بلدة ميشان على الخليج الفارسي باسفـل موضع البصرة ، و كانت هذه الامارة تضم بلدة ميشان ومدينة الابلة وعـدة حصون ومواضع كان لبعضها اسماء فارسية ولبعضها اسماء عربية منها المسلحة التي سماها العرب بعـد خرابها الخريبة (٣) ومنها الثني والخفير والمضيبح وغيره (٤) و كانت تلك الامارة اوذلك الثغر اعظم ثغور الفرس واشدها شوكة في ذلك العهد و كان عليها في عهد الملك اردشير الثالث بن شيرويه

---

(١) انقرضت هذه الدولة بقتل يزد جرد الثالث في سنة ٦٥١ م في خلافة عثمان بن عفان ومدتها (٤٢٥) سنة ولكنها ملكت العراق ٤١١ تقريباً (٢٢٦——٦٣٧) م وقد انقرضت من هذا القطر في سنة (٦٣٧) . على يد القائد الاسلامي سعد ابن ابي وقاص في ايام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٢) وسماها بعضهم پرات ميشاه و كرخاديشان وسماها اليونان خارك اوحارك وسماها العرب دست ميسان وميشان . في لواء البصرة اليوم مزرعة كبيرة فيها بساتين لآل الزهير على النهر المعروف بكرمة علي شمال البصرة القديمة تسمى ميشان ومن المحتمل انها موقع ميشان القديمة او انها سميت باسمها والراسخون بهذا العلم اعلم (٣) وسمى بعضهم دهيشتا باذارديشر ويقال انها كانت مدينة قديمة للفرس وكان لها عدة اسماء وكان قصر للمرزبان (٤) الثني نهر قرب موضع البصرة كان فيه ماء والمضيبح اسم مكان قريب من موقع البصرة .

(١) قائد فارسي اسمه هرمز وهو ممن تم شرفهم عند الفرس في في ذلك العصر .

وفي الوقت الذي كانت المملكة الفارسية قد تزعزعت اركانها من توالي الفتن الداخلية المستعرة نيرانها في كل جهة من جهاتها في الوقت الذي كان القائد العربي المثنى بن حارثة الشيباني يغير فيه بجموعه على ناحية الحيرة في ايام الخليفة الاول ابى بكر عبد الله بن ابى قحافة كان قطبة بن قتادة السدوسي يغير بجموعه على ناحية امارة ميشان او ناحية المنطقة التي بها لواء البصرة اليوم (٢) .

و كان الخليفة الاول (٣) قد علم بالاضطرابات المتوالية التي كانت في مملكة الفرس و كان يفكر في فتح بلادهم ومستعمراتهم ولكنه كان مشغولا حينذاك بقتال المرتدين فلما فرغ من حرب المرتدين . ودانت له جزيرة العرب عزم على فتح العراق و كتب في اواخر سنة ١١ هـ الموافقة لسنة ٦٣٢ م الى القائد الكبير خالد بن الوليد — وهو يومئذ باليمامة — يأمره ان يسير بجيشه الى العراق لنشر الدعوة والفتح وان

( ) واردشير هذا هو ابن شيرويه بن كسرى ابرويز وقد تولى سنة (٦٢٩) وكان طفلا فحكم مدة قصيرة ثم قتل .

(٢) ويروي ان سويد بن قطبة الذهلي كان يغير في تلك الناحية (٣) تولى الخلافة في ٥ ربيع الاول سنة ١١هـ الموافقة سنة ٦٣٢ م ومات في ٢٢ جمادي الثاني سنة ١٣هـ الموافقة ٢٢ اغستوس سنة (٦٣٤) م وتولى بعده عمر وقتل في ٢٩ ذي الحجة سنة ٢٣هـ الموافقة سنة (٦٤٤) م بعد ان فتح مدة اقطار ووسع المملكة الاسلامية

يبدأ بثغر الهند وهو الابلة (١) وان يستنفر من قاتل اهل الردة وان لا يستعين بمرتد ، وكتب بمثل ذلك الى عياض بن غنم ولكنه أمره ان يبدأ بالمضيح ويدخل العراق من اعلاه ويسير حتى يلتقي بخالد ، وكتب الى المثنى واصحابه (حرملة ومعذور وسلمى) يأمرهم ان يلحقوا بخالد بالابله وكانوا يومئذ يغيرون على ناحية الحيرة ، فسار خالد بمن معه في اوائل محرم سنة ١٢ ﻫ وسار عياض بمن معه ايضاً في الوقت نفسه ثم كتب كل منهما وهما في الطريق يستمد ان الخليفة ، فامد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وامد عياضاً بعبد بن غوث الحميري . ثم التقى خالد وعياض بارض العراق في الجهة الجنوبية منه وكان مجموع من معهما عشرة آلاف مقاتل ثم انضم اليهما المثنى واصحابه وكانوا ثمانية آلاف مقاتل فبلغ الجيش الاسلامى ثمانية عشر الف مقاتل .

ولما تكامل الجيش العربى جعله خالد ثلاث فرق . الاولى وهى المقدمة جعل عليها المثنى بن حارثة ، والثانية جعل عليها عدي بن حاتم ، والثالثة قادها بنفسه . وسير الاولى ثم الثانية ووعدهما الحفير ولم يحملهم على طريق واحد ثم سار هو في طريق آخر وقرر مصادمة الفرس في الحفير .

---

(١) الابلة مدينة كانت على نهر الابلة بين البصرة والخليج الفارسى وكانت مرفأ السفن من الهند وثغر من ثغور الفرس وكانت عامرة كثيرة البساتين وقد فتحها المسلمون في رجب سنة (١٤ ﻫ) وبقيت عامرة في ايام الخلفاء الراشدين وايام الامويين ثم خربت في سنة ٢٥٦ ﻫ في ايام العباسيين .

٦

وقعة الحفير

بعد ان عبأ خالد جيوشه وسيرها الى الحفير سمع القائد هرمز أمير ميشان بقدومهم فكتب الى كسرى بالخبر وطلب منه النجدة وسار بمن معه الى الكواظم (١) ثم سمع ان المسلمين تواعدوا الحفير فسبقهم اليه ونزل به ، فسمع خالد بهم فنزل بقربهم وكتب الى هرمز يقول .

(اما بعد فاسلم تسلم او اعقد لنفسك وقومك الذمة واقرر الجزية والا فلا تلومن الا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) فاختار هرمز الحرب وبعث بكتاب خالد الى كسرى وجمع جموعه وتهيأ للحرب وعبأ كل من خالد وهرمز جيشه ثم التحم القتال بين الفريقين فانجلت المعركة عن انهزام الفرس وقتل قائدهم هرمز وغنم المسلمون اموالهم وذلك في محرم سنة ١٢ ﻫ وهذه اول وقعة حدثت في العراق بين المسلمين والفرس وتسمى وقعة الحفير وذات السلاسل (لان الفرس اقترنوا بالسلاسل لئلا يفر منهم احد) (٢)

---

(١) الكواظم جمع كاظمة وهي مدن قديمة كانت عند خليج الكويت .

(٢) ويروى ان اول وقعة حدثت في كاظمة ثم تلتها وقعة الحفير وقيل ان المعركة الثانية حدثت في الثنى على ان بعض المؤرخين يزعم ان اول مكان وصل اليه خالد في العراق بلاد بانقيا وباروسما واليس والراجح ماذكرناه وانه بعد ان صالح اهل الحيرة على مال قاتل الفرس وفاز عليهم فى كل المعارك ثم سار الى الشام سنة ١٣ ﻫ — ٦٣٤ م بامر الخليفة الاول وترك في العراق نصف الجيش واستخلف عليه المثنى بن حارثة ثم تولى القيادة العامة ابو عبيد ثم المثنى مرة ثانية ثم سعد ابن ابي وقاص وعلى يده تم فتح العراق في سنة ١٦ ﻫ (سنة ٦٣٧ م).

وقعة الثني

لما انتهى خالد من وقعة الحفير ارسل المثنى بن حارثة في آثار الفرس المنهزمين وسار هو بمن معه حتى نزل موضع الجسر الاعظم عند موقع البصرة .

و كان ملك الفرس لما وصله كتاب هرمز يخبره بقدوم الجيش الاسلامي ويطلب منه النجدة قدامدهرمزاً بجيش تحت قيادة قارن بن قريانس فلما وصل المذار (١) لقيهم المنهزمون فاجتمعوا وتوقفوا قليلاً ثم ساروا فنزلوا الثني ، فسمع بمجيئهم خالد فتهيأ لملاقاتهم وسار اليهم فاقتتل الفريقان وكانت معركة هائلة قتل فيها عدد كبير من الفرس فيهم قائدهم قارن وهو ممن تم شرفه عند الفرس كهرمز . و كانت الغنائم في هذه الوقعة كثيرة وسبى المسلمون فيها عيالات المقاتلة (٢) وسميت وقعة الثني وقد حدثت في اوائل صفر سنة ١٢ هـ

مسير خالد الى الشمال

بعد ان فرغ خالد من وقعة الثنى أمر على قسم من جيشه سعيد بن النعمان وسيره الى الحفير وامره بالنزول هناك واقام هو في قسم من

---

(١) المذار قصبة وقيل بلدة بالقرب من واسط بينهما وبين البصرة اربعة ايام الى الشمال (٢) وكان في السبي يومئذ الحسن البصري وكان نصرانياً .

جيشه في الثني يترقب اخبار الفرس و يترصد حركاتهم . ثم ارتأى بعد ايام قليلة ان يسير نحو شمالي البصرة مما يلي الفرات للتوغل في البلاد العراقية فجمع جيوشه وسار بهم بعد ان ترك حامية في موضع البصرة او مما يلي تلك المنطقة لاشغال من هناك من الفرس (١) والظاهر انه امر على تلك الحامية قطبة بن قتادة لان قطبة كتب بعد موت ابي بكر الى عمر بن الخطاب يعلمه مكانه ويقول له : لو كان معه عدد كاف لظفر بمن كان قبله من الفرس فنفاهم عن بلادهم. فكتب اليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه اليه شريح بن عامر احد بني سعد بن بكر فلما وصل شريح ترك قطبة في موضعه ومضى الى الاهواز لغزو الفرس فقتلوه وظل قطبة يغير على تلك الجهات الى ان ارسل عمر سعد بن ابي وقاص قائداً عاماً على الجيش الاسلامي فارسل سعد بعد وقعة القادسية الشهيرة التي مزقت الفرس في محرم سنة ١٤ هـ عتبة بن غزوان المازني الى جهة موضع البصرة بامر الخليفة الثاني عمر (٢) فلما وصل عتبة بمن معه نزل حيال الجسر الصغير فبلغ صاحب الفرات قدومه فاقبل لقتاله بجموعه.

---

(١) لما كانت حروب خالد وانتصاراته لاعلاقة لها في تاريخ البصرة تركنا ذكرها .

(٢) ويروى ان عتبة ارسله عمر من المدينة واوصاه ووعظه وقال له انطلق انت ومن معك حتى اذا كنتم في اقصى ارض العرب وادنى ارض العجم فاقيموا فسار عتبة ومن معه ونزل في موضع البصرة فى ربيع الاول سنة ١٤ هـ وكان معه اربعون رجلا فيهم نافع بن الحارث الثقفي وابو بكرة وزياد ابن ابيه وانظم اليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل وتميم .

فتزاحف الفريقان وحدثت بينهما معركة عنيفة انجلت عن انكسار الفرس ووقوع قائدهم أسيراً بيد عتبة .

فتح الابلة

بعد ان هزم عتبة حامية الفرس مراراً في تلك الجهات واستولى على عدة حصون أو مخافر كانت تقيم فيها جنود فارسية لمنع غارات العرب منها المسلحة التي سموها بعد خرابها الخريبة اجتمع اهل الابلة وخرجوا لقتاله فقاتلهم فانتصر عليهم وهزمهم حتى دخلوا المدينة في رعب شديد ثم رجع الى معسكره وترك في قلوب من في الابلة خوفاً اضطرهم الى اخلاء المدينة فحملوا ما خف وعبروا الماء ، فبلغ ذلك عتبة فاسرع اليها ودخلها وغنم المسلمون اموالاً وسلاحاً وسبياً وذلك في رجب سنة ١٤ هـ .

تأسيس البصرة القديمة

على اثر فتح الابلة نزل عتبة بجيشه على طرف البر الى جانب مسلحة الفرس التي خربت في تلك الاثناء فسموها الخريبة واتخذ المكان معسكراً لانه لا يحول الماء بينه وبين مكة اذ كان من ذلك الموضع على الضفة الغربية للفرات الى مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما نهر ثم كتب الى الخليفة الثاني في موسم الشتاء يستأذنه بالبناء فاذن له فبنى

مسجداً وداراً للامارة من القصب في الرحبة التي سميت رحبة بني هاشم وذلك في سنة ١٤ ﻫ (٦٣٦م) فبنى الناس بيوتهم من القصب . وقد بنيت على بعد اربعة فراسخ من مدينة الابلة قرب الخليج الفارسي في منتهى العراق عند موقع الزبير .

وعلى اثر ذلك اجتمع اهل ميشان وخرجوا لقتال المسلمين فخرج اليهم عتبة فهزمهم واخذ مرزبان ميشان اسيراً .

وبعد قليل استعمل عتبة على جيشه مجاشع بن مسعود وسيره الى الفرات واستخلف على المدينة المغيرة بن شعبة الى ان يعود مجاشع فاذا قدم فهو الامير وسار عتبة الى يثرب عاصمة المسلمين لملاقاة الخليفة عمر بن الخطاب . فانتصر مجاشع بن مسعود على اهل الفرات . اما المغيرة بن شعبة فانه بلغه ان الفرس القريبين منه اجتمعوا لقتاله فخرج اليهم بمن معه فلقيهم بالمرغاب وانتصر عليهم وكتب بذلك الى الخليفة . فلما وصل كتابه الى الخليفة قال لعتبة (من استعملت على البصرة) فقال مجاشع بن مسعود قال (أتستعمل رجلاً من اهل الوبر على اهل المدر ؟) واخبره بما كان من امر المغيرة وامره بالرجوع الى عمله واوصاه بوصايا هامة فمات عتبة في الطريق في سنة ١٤ ﻫ

ولما بلغ الخليفة الثاني موت عتبة ولى على البصرة المغيرة بن شعبة

وذلك في سنة ١٤ م ثم عزله في سنة ١٦ ه وولي عليها ابا موسى الاشعري (١)

وفى هذه السنة (سنة ١٦ ه) حدث حريق بالبصرة فخافوا الحريق مرة اخرى فاستأذنوا الخليفة في البناء باللبن فاذن لهم وكتب اليهم يقول (افعلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة) فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا المدينة خططاً بحسب القبائل لكل قبيلة خط . وجعلوا عرض شارعها الاعظم ستين ذراعا وعرض ماسواه عشرين ذراعا وجعلوا عرض كل زقاق سبعة اذرع ووسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وتلاصقوا بالمنازل واول شيء بني فيها مسجدها ووضعوه في الوسط بحيث تتفرع الشوارع منه(٢) ولما اذن عمر ببنائها باللبن ساق اليها جماعات كبيرة من اشراف العرب من اهل البادية واسكنهم فيها وكان على تنزيلها ابو الحرباء عاصم بن دلف (٣)

---

(١) وقيل ولاه في سنة ١٧ ه (٢) ويروي ان سعداً ارسل نفراً الى عمر يستأذنونه في بناء البصرة باللبن فاذن لهم وامرهم بتخطيط الشوارع على الوجه المذكور وماقيل من انها بنيت باللبن في ايام عتبة بن غزوان فغير صحيح لانه مات في سنة ١٤ ه بعد ان بناها بالقصب ثم بنيت باللبن في سنة ١٦ ه بعد سقوط المدائن بقليل في ايام امارة ابي موسى الاشعري (٣) وقد بالغ بعض المؤرخين وزعم ان عمر ساق الى البصرة بعد بنائها باللبن سبعين الف بيت من اشراف العرب من سكان البادية واسكنهم فيها .

البصرة في عهد الخلفاء الراشدين

لما تم فتح العراق بعد سقوط المدائن عاصمة الفرس على يد القائد الاسلامي سعد بن ابي وقاص في سنه ١٦ هـ الموافقة لسنة ٦٣٧ م رتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب العمال وقدر رواتبهم واقر ابا موسى الاشعري على ولاية البصرة وجعل له ستمائة درهم في الشهر ووجه شريح ابن الحرث على قضاء البصرة واجرى عليه مائة درهم وعشرة اجربة في الشهر (١)

وكتب الى ابي موسى الاشعري بابقاء الخراج بالمساحة باعتبار الجريب كما كان في ايام الفرس على الجريب من الحنطة قفيز ودرهم (او اربعة دراهم) وعلى الشعير درهمين وعلى الجريب من النخل ثمانية دراهم ومن الكرم (العنب) عشرة دراهم ومن القصب ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم سواء زرعت الارض ام تركت . (والجريب (٣٦٠٠) ذراعا مربعاً. والقفيز عشر الجريب ،). اما الاراضي التي كانت للدولة الفارسية المنقرضة وهي التي صارت ملكا للدولة الاسلامية فانه وضع عليها العشر كما وضع المكس على التجارة .

وابقى الجزية على اهل الذمة كما كانت في عهد الفرس باعتبار درجات الناس ومقدرتهم واستثنى نصارى العرب منها وجعل عليهم الزكاة كالمسلمين لانهم نصروا جيوشه.

---

(١) وبقي شريح على القضاء الى ايام الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة ٧٥ هـ وستقال

وبعد ان كان موضع البصرة معسكراً للجيش الاسلامي تقيم فيه العرب مع نسائهم واولادهم كما يقيم جيش الاحتلال في هذا العصر صار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات اسواق واسعة وبيوت فخمة ، وسميت بهذا الاسم (البصرة) لانها بنيت على ارض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء (اذ تسمى العرب مثل هذه الارض البصرة) واخذت عمارتها تزداد يوما فيوماً منذ ايام عمر بن الخطاب .

ولما قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في اواخر سنة ٢٣ ه الموافقه لسنة ٦٤٤ م وتولى بعده عثمان بن عفان اقر اباموسي الاشعري على البصرة ثم عزله في سنة ٢٩ ه وولاها عبد الله بن عامر بن كريز (وهو ابن خال عثمان) وكان حدث السن (١) وفي ايامه في سنة ٣٣ ه طعن اهل الكوفة في عثمان وانكروا عليه ولاية جماعة من اقربائه لا يصلحون للامارة ثم سكنوا ولكنهم ظلوا ناقمين عليه سرا حتى اذا ما كانت سنة ٣٥ ه ثاروا واتفق معهم اهل البصرة واهل مصر وخرج خمسمائة رجل من الكوفة ومثلهم من البصرة ومثلهم من المصريين واجتمعوا بالمدينة وطلبوا من عثمان عزل عماله . وكان عثمان قد سار على سيرة الشيخين بادئ بدء ثم غير سيرته فعزل اكثر الولاة القديرين وولى اقربائه

---

(١) قيل كان عمره حينذاك ٢٥ سنة . ثم ولاه عثمان في سنة ٣١ ه على الجيش في بلاد فارس وعهد اليه ان يتم فتحها ففتحها وانقرضت دولة الاكاسرة على يده في سنة ٣١ ه الموافقة لسنة ٦٥١ م في ايام عثمان .

لانه كان كلفا باهله مستسلما الى اقر بائه من بني امية حتى نقم عليها كثر اصحابه ونفروا منه . فكبرت الفتنة فحاصروه في داره ثم هجموا عليه وقتلوه بعد حوادث طويلة وذلك في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ ه الموافقة لسنة ٦٥٦م

وبويع بالخلافة الامام علي في ٢٥ ذى الحجة من السنة المذكورة فعزل اكثر ولاة عثمان منهم امير البصرة عبد الله بن عامر فانه عزله في اوائل سنة ٣٦ ه الموافقة لسنة ٦٥٦ م وولى مكانه عثمان بن حنيف فلما وصل البصرة الامير الجديد ولى على شرطة البصرة حكيم بن حبلة

وفي ايام امارة ابن حنيف حدثت وقعة الجمل الشهيرة بالبصرة . وخلاصتها ما يأتي :

وقعة الجمل

لما قتل عثمان وصارت الخلافة للامام علي استاء كثير من اهل مكة والمدينة وغيرها لقتل عثمان خصوصاً بنو امية ومن جملتهم عائشة بنت ابي بكر فانها لما بلغها الخبر استنكرت قتله استنكاراً شديداً وكانت يومئذ بمكه وقالت (ما كنت ابالي ان تقع السماء على الارض ، قتل والله مظلوماً وانا طالبة بدمه) مع انها كانت من جملة الناقمين عليه حينما غير سيرته واستسلم لاقربائه ، فانضمت عائشة الى من اتهم علياً بقتل عثمان

لان قتلة عثمان التفوا حوله . وكان طلحة والزبير بن العوام ممن طمع بالخلافة بعد قتل عثمان ولكنهما لما رأيا الاكثرية الساحقة لعلي وافقوا القوم وبايعاه مع الناس وعينا كل منهما الى ولاية من الولايات الكبرى ، بل كان طلحة لا يشك في ولاية اليمن والزبير لا يشك في ولاية العراق فلما استبان لهما ان عليا غير موليهما قابلاه فقالا له هل تدرى على ما بايعناك ، قال نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه ابا بكر وعمر وعثمان ، فقالا ولكنا بايعناك على انا شريكاك في الامر ، فقال علي ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد ، فانصرفا ثم اظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملأ من قريش فقال (هذا جزاءنا من علي ، قمنا له في امر عثمان حتى اثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته ، وكفى الامر فلما نال ما اراد جعل دوننا غيرنا . فقال طلحة (ما اللؤم الا انا كنا ثلاثة من اهل الشورى كرهه احدنا وبايعناه واعطيناه ما في ايدينا ومنعنا ما في يده فاصبحنا وقد اخطأنا ما رجونا) (١) فانتهى قولها الى علي فدعى عبد الله بن عباس فقال له (هل بلغك قول هذين الرجلين) قال نعم بلغني قولهما ، قال : فما ترى ، قال ارى انهما احبا الولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا باقرب اليك من الوليد وابن عامر

(١) ويروى ان طلحة والزبير سئلا عليا ان يوليهما البصرة والكوفة فابى فلما يئسا من ذلك سارا الى مكة وانضما الى عائشة .

من عثمان. فقال علي: ويحك ان العراقيين بها الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء ويقويا على القوي بالسلطان ولو كنت مستعملا احداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولو لاماظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأي .

فلما يأس كل من طلحة والزبير من الولاية مضيا الى مكة والتقيا بعائشة وعظما لها شأن عثمان وشايعاها على ماتطلبه هي وغيرها من الذين ساءهم قتل عثمان، وقالالها تحملنا هربا من غوغاء الناس وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاولا يمنعون انفسهم، فقالت (ننهض الي هذه الغوغاء اونأتي الشام) وعزمت على الاقتصاص من علي وانحازت الى من قام ضده من ذوي المطامع الذين اتخذوا قتل عثمان ذريعة لنيل مقاصدهم وصارت تطالب عليا بدم عثمان جهاراً وقوي عزمها بطلحة والزبير .

وكان قد وصلهم خبر رد اهل الشام بيعة علي وقيام معاوية بالمطالبة بدم عثمان فعزموا الشخوص الى البصرة وشرعوا في تجهيز الجيوش وانضم اليهم جمهور كبير، فبلغ ذلك علياً فلم يستطع ان يسلم قتلة عثمان لانهم يعدون بالالوف وهم الذين عملوا على توليته الخلافة ولو انه امر بالقبض عليهم لم يسلموا حتى تسفك آخر قطرة من دمائهم فيكون ذلك صدع

لوحدة المسلمين فامتنع علي عن تسليمهم. فخرجت عائشة من مكة ومعها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وغيرهم من بنى امية الذين اعانوها ونادى مناديها في الناس يطلب ثار عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف مقاتل (١) فساروا نحو البصرة .

وبلغ عليا خبرهم و كان متجهزاً الى الشام فارسل اليهم ينصحهم فلم يجيبوه فتجهز لهم وسار في اثرهم قاصداً البصرة وانضمت له جموع حتي بلغوا نحو تسعة آلاف مقاتل (٢)

اما عائشه فانها وصلت البصرة واصطف لها الناس في الطريق فقالوا لها: (ياام المؤمنين ماالذي اخرجك من بيتك) وعلت اصواتهم بهذه الكلمة وا كثروا عليها فقالت (ايها الناس والله مابلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ،ولقد قتل مظلوماً،غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وان من الرأي ان ننظر الى قتلة عثمان فيقتلون به ثم يرد هذا الامر شورى على ماجعله عمر بن الخطاب) فلما اتمت قولها قال فريق من البصريين صدقت

---

(١) ويروى انها سارت الى البصرة بستمائة بعير وثلاثة آلاف مقاتل . وقيل انضم اليها جماعات حتى بلغ مجموع الجيش نحواً من سبعين الف مقاتل

(٢) ويروى انه ساره بسبعة آلاف ثم جائه من اهل الكوفة ستة آلاف.وقيل بلغ مجموع جيشه زهاءعشرين الفا . وقيل ثلاثون الفاً .

وقال آخرون. كذبت وانقسموا الى قسمين قسم اتفق مع المطالبين بدم عثمان وهم الاكثر وقسم عدهم هؤلاء من الخوارج ولم يزل الناس يقولون ذلك (صدقت كذبت) حتى ضرب بعضهم وجوه بعض. ورد على عائشة رجل من عبد القيس فنالوا منه ونتفوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا وهم مجتمعون في مربد البصرة (١) فجاء رئيس شرطة البصرة حكيم بن جبلة الى الامير عثمان بن حنيف ودعاه الى قتال اصحاب عائشة فابى عثمان . وكان حكيم عند نزول جيش عايشة في الخريبة قد اشار على عثمان بمنعهم من دخول البصرة فابى وقال (ما ادري ما رأى امير المؤمنين في ذلك) فدخلوا بدون مانع وكتب الامير الى الامام علي يخبره بقدومهم، وبما حدث يوم دخولهم البصرة .

ثم اتى عبدالله بن الزبير الى خزينة الرزق ليأخذ الطعام الى اصحابه منها فجاء حكيم في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من اصحابه وذلك في جمادي الآخرة سنة ٣٦ هـ ثم ملك اصحاب عائشة بيت مال البصرة وقتلوا من الوكلاء خمسين رجلاً ، ويروى انهم هجموا ليلاً على دار الامارة وقتلوا اربعين رجلاً من حرس عثمان بن حنيف وقبضوا على عثمان وحبسوه واستولوا على دار الامارة وبيت المال. ثم اطلقوا عثمان (٢) فسار الى ملاقاة الامام علي .

---

(١) مربد البصرة محلة في البصرة من جهة البرية كان يجتمع فيها العرب كسوق عكاظ

(٢) قيل انهم اطلقوه بعد ان نتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه ، وقيل جلدوه ايضاً فقدم الى علي فقال يا امير المؤمنين بعثتني ذا لحية وجئتك أمرداً ، فقال الامام : اصبت اجراً وخيراً .

وبعد قليل وصل الامام علي بجيشه ونزل في الزاوية من البصرة وارسل القعقاع الى الثائرين ينصحهم وظل يراسلهم ثلاثة ايام . وكتب الى طلحـة والزبير يدعوهمـا للتدبر في مصير امرهما وكتب الى عائشة يردهـا عمـا عزمت عليـه . فكتب اليه الزبير يقول (انـك سرت مسيراً له مابعده ولست راجعاوفي نفسك منه حاجة فاقض لامرك) وكتب اليه طلحة (انك لست راضيا دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها ابداً فاقض ما انت قاض) وكتبت اليه عائشه (جل الامر عن العتاب والسلام) .

واصر طلحة والزبير وعائشة على الحرب فعبأ الزبير الجيش وتولى قيادته العامـة وجعل طلحة على الفرسان وعبدالله بن الزبير على المشاة ومحمد ابن طلحة على القلب ومروان بن الحكم على المقدمة وعبد الرحمن ابن عبادة على الميمنة وهلال بن وكيع على الميسرة .

وعبأ علي جيشه فجعل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى المؤخرة هند المرادى وعلى الفرسان عمار بن ياسر وعلى المشاة محمد ابن ابي بكر وسلم رايته الى ابنه محمد بن الحنفية.

فلما تهيأ الفريقان للقتال امر علي منادياً فنادى في اصحابه (لا يرمين احد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر الى القوم فاتخـذ عليهم الحجة البالغة) . ثم خرج علي على بغلة النبي الشهباء ووقف بين الجيشين

فنادى الزبير وطلحة فخرجا اليه فقال للزبير (ماالذي حملك على هذا) قال (لانى اراك لست اهلاً لهذا الامر) (١) فالتفت علي الى طلحة فقال (جئت بعرس النبي تقاتل بها وخبأت عرسك بالبيت أما بايعتني) قال (بايعناك والسيف على اعناقنا) . ثم قال علي لهما (استحلفا عائشة بحق الله و بحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا في قريش اولى مني برسول الله واسلامي قبل كافة الناس وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلي برائتي من دم عثمان ، وعلى انى لم استكره احداً على بيعة . وعلى انى لم اكن احسن قولا في عثمان منكما) ثم وجه عتابه نحو الزبير وذكره بامور كان قد نسيها فرق له الزبير ، اما طلحة فانه اغلظ له القول في الجواب ، ثم انصرفوا الى مواضعهم .

واراد علي حقن الدماء فارسل من ينصح الثائرين ويردعهم فجرت بين الفريقين مراسلات حتى كاد الصلح ان يتم بها ، وشاع بين الجيشين خبر الصلح فاستبشروا بالخير . فلما جن الليل اجتمع الذين اشتركوا في قتل عثمان وتشاوروا على انتشاب الحرب لانهم خافوا ان تم الصلح ان يقتلوا بعثمان فاوقدوا نار الحرب مع الغلس فجفل الناس وتصادموا وهجم بعضهم على بعض واستعرت نـــار الحرب ونسب كل فريق الى الفريق الآخر الغدر ، واقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال (ادركي فقد ابى

(١) ويروى انهما اعتنقا وبكيا فقال علي (ياابا عبدالله ماجاء بك ههنا) قال جئت اطلب دم عثمان) فقال علي (تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان)

القوم الا القتال لعل الله ان يصلح بك) فركبت على جملها في هودج قد ضربت عليه صفائح الحديد حتي لاتخرقه النبال فنصيبهـا و برزت من البيوت حتى وقفت في وسط جيشها والناس يقتتلون . فقال الزبير لابنه عبد الله (يابني عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتي) فقال عبد الله (الآن وقد التفت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لانغسل رؤسنا منها) فقال الزبير (يابني لاتعد هذا مني جبناً فوالله ما فارقت احداً في جاهلية ولااسلام) قال فما يردك قال (ما ان علمته كسرك)

فانصرف الزبير الى البصرة ومنها سار قاصداً مكة فقتله عمرو بن جرموز المجاشعي غدراً (١) بوادى السباع فتولى القيادة العامة عبد الله بن الزبير ، بينما عائشة واقفة اذ فاجئتها الهزيمة وشرعت جموعها تفر نحو البصرة فطافت الخيل بالجمل وكان البصريون يحمونه ويقاتلون دونه اكراماً للتي عليه . فقالت عائشة لكعب بن سور (خل عن الجمل وتقدم بالمصحف فادعهم اليه) وناولته مصحفا فاستقبل القوم فرموه رشقاواحداً فقتلوه ورموا عائشة في هودجها فجعلت تنادي (البقيةالبقيةيابني) ويعلو صوتها (الله الله اذكروا الله والحساب) فيأبون الا اقداما وبالاخص اهل الكوفة . فلما رأى المنهزمون ذلك عادوا ورجعوا في امر جـديد وصارت عائشة تشجعهم على القتال وتحضهم على بذل ارواحهم في سبيل

---

(١) قتله غدراً وهو نائم يصلي.في وادي السباع وهو المحل الذى فيهقبرطلحةاليوم ...

نيل الانتصار فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فاقتتلوا وكان طلحه قد قتل (١) وجعل القوم يتقاتلون علي زمـام الجمل هـذا يأخذه ليأسر عائشة والآخر يأخذه ليخلصها حتى ضاع الزمام بين الايدي ومات دون الجمل خلق كثير من الفريقين واخذ الزمام سبعون قرشيا ما نجا منهم واحد (ويروى تسعون) وصار الناس يتساقطون تحت الجمل وعائشة تنادى (البقية البقية) .

فلما رأى علي اشتداد القتال بين الطرفين امر بالهجوم على الجمل واخذه عنوة ونادى (اعقروا الجمل) فهجموا هجمة عظيمة فعقروا الجمل فسقط ، وانهزم جيش عائشة فامر علي مناديا فنادى (لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور) وحمل الهودج من بين القتلى فاذا هو كالقنفذ لما فيه من السهام فجاء علي حتى وقف على الجمـل وقال لمحمد بن ابى بكر (انظر احية هي ام لا) ويروى انه قال له (انظر هل وصل اليها شيء من جراحة) فادخل محمد رأسه في هودجها . فقالت من انت قال (اخوك البر) فقالت (عقق) قال (يا اخية هل اصابك شيء فقالت (ما انت وذاك). ويروى انه لما سقط الجمل اجتمع القعقاع وزفر على قطع بطانه وحملاه وطافا به ثم وضعاه ولما اراد محمد ان ينظر الى اخته عائشة مد يده في الهودج فقالت عائشة (من هذا احرق الله يده)

---

(١) كان قد اصابه سهم في رجله وهو ينادي (عباد الله الصبر الصبر : اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى فلما ثقل دخل البصرة فمات فيها .

فقال لها (قولي في الدنيا) فقالت (في الدنيا) . ثم اتاها علي فقال (كيف انت يا اماه) قالت (بخير) قال (يغفر الله لك) قالت (ولك) فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد البصرة بامر علي فانزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث ابن ابي طلحة . وانتهت هذه الحادثة بمكان الحريبة بانتصار الامام علي في يوم الخميس ٢٢ جادي الاخرة سنة (٣٦) ﻫ (٦٥٦) م وكان اشتباكهم في القتال في يوم الخميس ١٥ من الشهر المذكور (ويروى في ١١ منه) .

وقتل من الطرفين زهاء عشرة آلاف (١) وسميت وقعة الجمل لانهم لم يروا منظراً مثل ذلك اليوم الذي تساقط الرجال فيه حول الجمل كتساقط الفراش على السراج . ولما هدأ الناس جهز علي عائشة بكل ما ينبغي من زاد ومتاع وركائب (٢) واختار لها اربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات وسير معها اخاها محمداً وشرذمة من الجند وسيرها الى مكه ومنها الى المدينة بالاحترام اللائق بها .

ولما كان يوم مسيرها خرج الناس لتشييعها فخرجت يوم السبت غرة رجب سنة (٣٦ﻫ) فوقف لها الامام علي فودعتهم وقالت (يابني لا يعتب بعضنا على بعض والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون

---

(١) ويروي خمسة آلاف من اصحاب عائشة . وقيل سبعة عشر الفاً من اصحاب عائشة والف وسبعون من اصحاب علي

(٢) ويرى انه خصص للنفقة عليها اثنى عشر الف درهم .

بين المرأة وبين احمائها) فقال علي (صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذاك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة) ، وشيعها علي بنفسه عدة اميال وسرح بنيه معها مسافة يوم . وقد ندمت عائشة على مـا فعلت وعادت بخفي حنين . وهي اول سيدة عربية قادت الجيوش في الاسلام

امارة عبد الله بن عباس على البصرة

ولما انتهى علي من وقعة الجمل واستتب امره في العراق ولى عـلى البصرة عبد الله بن عباس « هو ابن عمه » وذلك في سنة (٣٦هـ) وسار هو الى الكوفة . فلما كانت سنة (٣٧ هـ) وسار الامام علي لقتال معاوية في صفين وسار عبد الله الى الكوفة واستخلف على البصرة زياد ابن ابيه فوجه معاوية بن ابى سفيان (بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر) في سنة (٣٨ هـ) عامر بن الحضرمي « و يروى انه عبد الله بن الحضرمي » في جمع الى البصرة ولما سيره قال « يا عامر ان جل اهل البصرة يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون ان يأتيهم من يجمعهم و ينهض بهم في الطلب بثارهم ودم امامهم . فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم » . فسار ابن الحضرمي حتى وصل البصرة فنزل في بنى تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وحثهم على الاخذ

بثار عثمان .

و بلغ ذلك زياداً وهو يومئذ نائباً عن عبد الله بن عباس امير البصرة فكتب الى الامام علي بالخبر فارسل اليه اعين بن ضبيعة التميمي ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصاه . وكتب الى زياد يعلمه ذلك . فلما قدم اعين نزل عند زياد وجمع رجالا ثم سار الى قومه فتبعه عدد قليل فنهض بمن معه لقتال ابن الحضرمي ومن معه فواقفهم يوماً ثم انصرف فقتله قومه غدراً .

فلما قتل اعين اراد زياد قتال بني تميم فارسلت تميم الى الازد (انا لم نعرض لجاركم فما تريدون منا) فكرهت الازد قتالهم وقالوا (ان عرضوا لجارنا منعناه) وكان زياد قد لجأ الى الازد فاجاروه وجوه ، فكتب زياد الى الامام علي يخبره بقتل اعين وماجرى ، فارسل على جارية بن قدامة السعدي التميمي و بعث معه خمسين رجلامن تميم (و يروى خمسمائة) وكتب الى زياد يأمره بمعونة جارية والاشارة عليه، فلما قدم جارية البصرة حذره زياد ما اصاب اعين فاقام جارية في الازد وقرأ كتاب علي الى اهل البصرة يوبخهم ويتهددهم و يتوعدهم بالمسير اليهم والايقاع بهم . ثم سار جارية الى قومه بني تميم وقرأ عليهم كتاب علي و وعدهم فاجابه الازد وكثير من تميم فسار بمن تبعه لقتال ابن الحضرمي فالتقيا بالقرب من قصر سنبل السعدي وكان على خيل ابن الحضرمي

عبد الله بن حازم السلمى فاقتتلوا ساعة فانهزم ابن الحضرمي وتحصن بقصر سنبل (١) فاحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون رجلا معه وعاد زياد الى القصر ورجع الى عمله بعد ان تغلب عليه ابن الحضرمي واضطره الى الالتجاء بالازد هربا منه (٢) وعلى اثر ذلك عاد الى البصرة عبد الله بن العباس .

فلما كانت سنة ٤٠ هـ وشي ابو الاسود الدؤلي على عبد الله بن عباس فارسل الامام علي الى عبد الله يعاتبه ويحاسبه في الخراج وكتب الى ابي الاسود يأمره بمراقبة امور البصرة ، فاغتاظ ابن عباس وكتب الى الامام علي (ابعث الى عملك من احببت فاني ظاعن عنه والسلام) واستدعى اخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فسار من البصرة الى مكة ، فضيع الامام علي زعيماً كبيراً يتبعه عدد كبير كما ضيع امثاله بتدقيقه الشديد في محاسبتهم والمبالغة في المحافظة على الدين في الوقت الذي طمع فيه العمال في الاحكام وفسدت نياتهم واتخذ بعض اعدائه قتل عثمان ذريعة للوصول الى عرش الخلافة ومنهم معاوية

---

(١) قصر سنبل كان مخفراً للفرس فلما فتح المسلمون العراق صار ملكا لهم ثم صار لسنبل السعدي فعرف به وكان حوله خندق وكان بالقرب من البصرة .

(٢) ويروى ان ابن الحضرمي لم يتمكن من دخول البصرة فبقي حولها يشن الغارات وقيل انه تغلب عليها وهرب منه زياد ولجأ الى الازد فاجاروه حتى ثاب الناس واجتمعوا فطردوا ابن الحضرمي واقام على عمله حتى عاد ابن العباس .

الذي ابتاع الاحزاب بالمال واجتذب كبار الرجال بالدهاء .

ولما استقال عبد الله بن عباس من امارة البصرة ولى الامام علي عليها حمران بن ابان فبقي على عمله الى ان قتل الامام في الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (٦٦١) م وتولى الخلافة ابنه الحسن. فلما سلم الحسن لمعاوية الامر وتنازل له عن الخلافة في ربيع الاول سنة ٤١ هـ (٦٦١)م بعد ان حكم ستة اشهر عصى حمران بالبصرة (١)

البصرة في عهد الامويين

لما استقل معاوية بن ابي سفيان بالخلافة وتم له الامر سنة ٤١ هـ ووجه الولاة الى الامصار وكان حمران بن ابان قد تغلب على البصرة بعث معاوية بسر بن ارطاة بجيش فانتزع بسر البصرة من حمران وتولى امارتها ستة اشهر ثم عزله معاوية في اواخر هذه السنة (سنة ٤١ هـ) وولى على البصرة عتبة بن ابي سفيان وضم اليه خراسان وسجستان ثم عزله في سنة (٤٣)هـ وارسل بدله عبد الله بن عامر بن كريز (الذي كان اميرها في ايام عثمان وضم اليه خراسان . وكان ابن عامر هذا كثير الحلم لينا فطمع به اهل البصرة واستخفوا بالحكومة وخالفوا اوامرها فعزله معاوية في سنة (٤٤)هـ (٦٦٤) م وبعث مكانه الحرث بن عبد الله الازدي (ويروى الحارث وهو من اهل الشام) . فلما وصل الحرث الى البصرة ولى على شرطتها

---

(١) ويروى انه وثب على البصرة وتغلب عليها في اثناء تنازل الحسن لمعاوية .

عبد الله بن عمرو الثقفي واجتهد الحرث في اصلاح الامور فعجز وكثر النهب والسلب والقتل وامتنع اكثر الناس عن تسليم الخراج واستخفوا برجال الحكومة فلم يبق لها غير الاسم فعزله معاوية بعد اربعة اشهر وولى امارة البصرة زياد بن ابيه وذلك في سنة ٤٥ هـ (١)

امارة زياد على البصرة

زياد ابن ابيه او ابن سمية هو احد دهاة العرب وساستها وخطباؤها وقادتها استكتبه ابو موسى الاشعري يوم كان اميراً على البصرة في عهد عمر بن الخطاب ثم استخلفه عبد الله بن عباس على البصرة مدة في ايام الامام علي . فلما اضطربت فارس ولاه الامام علي عليها فتمكن بدهائه من ايقاع الشقاق بين الثائرين وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت الفتن وزال الاضطراب وبقي على عمله حتى قتل الامام علي وتولى الحسن وزياد على فارس فلما تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة بعث معاوية الى زياد يطالبه في المال فكتب اليه (صرفت بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت ما فضل الى امير المؤمنين رحمه الله) فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع زياد . فلما ولى معاوية بسراً على البصرة امره باستقدام زياد فجمع

(١) ويروى انه ولي البصرة بعد الحارث سمرة بن جندب ثم عزله وولي مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله وولى زياداً في سنة ٤٥ هـ ولكن ذلك غير صحيح .

بسر اولاد زياد في البصرة وحبسهم وهم عبد الرحمن وعبد الله وعباد ، وكتب الى زياد يقول (لتقدمن اولاً فتلن بنيك) فامتنع زياد واعتزم بسر على قتلهم ، فسار ابو بكرة (هو اخو زياد لامه) الى معاوية فلما قدم عليه قال (ان الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال وان بسراً يريد قتل بني زياد) فكتب معاوية الى بسر يأمره بالافراج عنهم فاطلق سراحهم .

وخاف معاوية من زياد فصالحه واستقدمه الى الشام واستلحقه بنسب ابيه سفيان . ثم ولاه البصرة في سنة ٤٥ هـ (٦٦٧ م) .

ولما قدم زياد البصرة دخل مسجدها وصعد منبره فاجتمع الناس فخطب خطبته البتراء (١)

الخطبة

اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي الموفى باهله على النار مافيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الامور التي ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول ، انه ليس منكم الا من طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون

---

(١) سميت البتراء لانه لم يفتتحها بالحمدلة والثناء

انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من تركم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل . والجمع غير مفترق . الم يكن منكم نهاة يمنعون الغواة عن دلج الليل وغارة النهار ، قربتم القرابة ، و باعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر . كل امرئ منكم يرد عن سفيهه . صنع من لا يخاف عقابا . ولا يرجو معاداً . فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام ثم اطرقوا ورائكم كنوساً في مكانس الريب . حرام علي الطعام والشراب حتى اضع هذه المواخير بالارض هدماً واحراقا . اني رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما يصلح به اوله . لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . واني اقسم بالله لآخذن الولي بالمولى . والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصي . حتى يلقى الرجل اخاه فيقول (انج سعد فقد هلك سعيد) او تستقيم لي قناتكم .

ان كذبة الامير بلقاء مشهورة . فاذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي . اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم اكشف له قناعا . ولم اهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا اموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر . ومسرور بقدومنا سيبتئس . ايها الناس انا قد اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة

نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا. فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا. ولكم علينا العدل فيما ولينا. فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا.

فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الادهم اشهد انك اوتيت الحكمة وفصل الخطاب. فقال زياد كذبت ذلك نبي الله داود.

واستعمل زياد الشدة والعنف وجرد السيف واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فخافه الناس وساد الامن وهدأت الاحوال. واستعمل عند دخوله البصرة على شرطته عبد الله بن الحصين وامره ان يمنع الناس من الولوج بالليل. واستكثر من الشرطة والجند فبلغ عدد الشرطة اربعة آلاف شرطي وعدد الجند ثمانين الف في البصرة واستعان زياد في تبدير شؤن الادارة بجماعة من كبار الرجال، منهم انس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وعبد الله بن الحصين «رئيس شرطة البصرة» فساد الامن وسارت الامور على اتم نظام وزادت عمارة البصرة وكثرت خيراتها وتهافت اليها الناس من كل جانب ويروى انه ولى قضاء البصرة عمران بن الحصين فاستقال فولى مكانه عبد الله بن فضالة ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفي

ولما مات المغيرة بن شعبه أمير الكوفة في سنة ٥٠ هـ ويروى» في سنة ٤٩ هـ » ضم معاوية الكوفة الى زياد وجمع له المصرين « البصرة

والكوفة » وهي اول مرة ضمتا معاً أو اول مرة ضمت الولايتين لوال واحد ، ثم ضم اليه خراسان واضاف اليه سجستان ثم جمع له البحرين وعمان . فثبت زياد دعائم الملك لمعاوية . ومنذ ضمت اليه الكوفة في سنة ٥٠ هـ اخذ يقيم في الكوفة ستة اشهر ومثلها في البصرة «١» واستخلف على البصرة عند مسيره الى الكوفة سمرة بن جندب فظلم سمرة اهل البصرة حتى قيل انه قتل ثمانيه آلاف منهم في مدة قصيرة فبلغ ذلك زياد فانكر عليه عمله فعزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان .

ولما مات زياد بالكوفة في رمضان في سنة ٥٣ هـ اقر معاوية على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله في سنة ٥٥ هـ وولى مكانه عبيد الله بن زياد «١» ثم عزله في سنة ٥٩ هـ وبعد ايام قليلة اعاده اليها .

ومات معاوية في سنة ٦٠ هـ «٦٨١ م» وتولى بعده ولي عهده ابنه يزيد الاول فاقر عبيد الله على البصرة .

---

(٢) وزياد هو اول امير سير بين يديه الرجال بالحراب والعمد في الاسلام واول من اتخذ الحرس خمس مئة لايفارقون مكانه . واول من جمع له العراقيين . واول من شدد أمر السلطة واول من توخى الشدة والعنف . واول من رتب المراتب في الدخول على الخليفة او الامير واول من قلد الفرس بلبس قباء الديباج . واول من اتخذ الكراسي .

(٢) ويروى ان معاوية ولى على البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب في سنة ٥٣ هـ ثم عزله في سنة ٥٤ هـ وجعل مكانه عبدالله بن عمر بن غيلان فعادت للفتن بالبصرة فعزله في سنة ٥٥ هـ وولى عبدالله بن زياد فقمع الفتن واعاد الامن وكان قبل ذلك على خراسان من قبل معاوية .

كان ابن زياد مخلص النية لبني سفيان شديداً على اعدائهم بل انه كان اشد من ابيه على الخوارج حتى قيل انه قتل منهم يوم امارته على البصرة عدداً عظيماً عدا الذين قتلهم صبراً في سنة ٥٨ هـ وفيهم عروة بن أدية اخو أبي بلال مرداس بن ادية وكان سبب قتله ان ابن زياد خرج في رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة ابن أدية فقال خمس كن في الامم قبلنا فقد صرن فينا (أ تبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما سمع ذلك ابن زياد ظن انه لم يجترئ عليه الا ومعه جماعة من اصحابه فقام وركب وترك رهانه ، فلام الناس عروة وقالوا له والله ليقتلنك فاختفى عروة فطلبه ابن زياد ثم قبض عليه فقتله، فخرج مرداس اخو عروة في اربعين رجلا بالاهواز واجتمع حوله جماعات فارسل اليهم ابن زياد الفي مقاتل تحت قيادة ابن حصن التميمي فاندحر جيش ابن زياد .

وفي ايام امارة ابن زياد على البصرة قدم الكوفة مسلم بن عقيل داعية للحسين بن علي ، وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير فبلغ ذلك يزيد الاول فعزل النعمان عن الكوفة وضمها الى ابن زياد وكتب اليه يأمره بالقبض على مسلم وقتله اونفيه من الكوفة ، وفي الوقت الذي

ورد فيه كتاب يزيد الى عبيد الله بن زياد وصل كتاب الحسين بن علي الى شيعته من اهل البصرة مع مولى له أسمه سلمان يقول لهم فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى مالك بن مسمع والاحنف بن قيس والمنذر ابن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم ، سلام عليكم . اما بعد اني ادعوكم الى احياء معالم الحق واماتة البدع فان تجيبوا تهتدوا سبيل الرشاد والسلام) فكتموه جميعاً الا المنذر ابن الجارود فانه فشاه لتزويجه ابنته هند من ابن زياد فدخل عليه واخبره بالكتاب فطلب ابن زياد رسول الحسين وقبض عليه وقتله .

وعلى اثر ذلك استخلف ابن زياد على البصرة اخاه عثمان بن زياد وسار هو الى الكوفة فخرج لتشييعه جماعة من اشراف البصرة فيهم المنذر بن الجارود وشريك بن الاعور ، فوصل ابن زياد الكوفة وجرى ماجرى هناك من خيانة الكوفيين وغدرهم وقتل مسلم ثم قتل الحسين بن علي في محرم سنة ٦١ هـ وسودت هذه الحادثة المؤلمة صحائف تاريخ بنى امية .

وعلى اثر حادثة كربلا ظهرت الخوارج وعظم امرها فوجه ابن زياد جيشاً لقتالهم بالاهواز فاندحرت عساكره فاغتاظ حتى كان لا يدع بالبصرة احداً ممن يتهم برأي الخوارج الا قتله حتى قيل انه قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل من البصريين .

ولما مات يزيد الاول في سنة ٦٤ هـ (٦٨٤) م تفاقم امر الخوارج وزادوا بمن التحق بهم من البصريين وغيرهم ممن كانوا على رأيهم فاضطربت البصرة وصار اهلها فرقا واحزاباً وكان ابن زياد يومئذ بالبصرة فلما بلغه نعي يزيد نادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس بالمسجد فصعد ابن زياد المنبر وقال (يا اهل البصرة ان مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدي فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلكم الا سبعين الفا ولقد احصى اليوم مئة الف ، وما كان يحصي ديوان عمالكم الا تسعين الفا ولقد احصى اليوم مئة واربعين الفا وما تركت لكم قاطبة من اخافه عليكم الا وهو في سجنكم ، وان يزيد قد توفي وقد اختلف الناس بالشام وانتم اليوم اكثر الناس عدداً وأعرضهم فناء واغنى الناس واوسعهم بلادا فاختاروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فانا اول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على احد يليكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من اهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم) فقالوا له قد سمعنا مقالتك وما نعلم احداً اقوى عليها منك فهلم فلنبايعك ، فابى عليهم ذلك ثلاثاً ثم بسط يده فبايعوه بالامارة وانصرفوا عنه يمسحون ايديهم بحيطان المسجد وعبد الله لا يشعر بهم ويقولون ءأيظن ابن مرجانة انا ننقاد له في الجماعة والفرقة.

وظن ابن زياد انهم صدقوه وانهم بايعوه بنية خالصة فبعث الى اهل الكوفة من يطلب بيعتهم له فابوا ذلك وامروا عليهم عامر بن مسعود حتى يجتمع الناس ثم كتبوا الى ابن الزبير بمكة يبايعونه بالخلافة ، فلما علم البصريون بما فعله الكوفيون خلعوا طاعة ابن زياد وسخروا منه واحتقروه (ويروى انهم هموا بقتله) فخاف على نفسه فاستجار بالحرث بن قيس الازدي ثم بمسعود بن عمرو سيد الازد فاجاره ثم هرب بحاشيته من العراق الى الشام بعد ان اخذ من بيت المال مليوناً وتسعمائة الف درهم .

واجتمعت كلمة البصريين على توجيه الامارة لعبد الله بن الحرث بن نوفل فولوه عليهم الى ان يجتمع الناس على امام وذلك في السنة نفسها (٦٤) ه وهم يومئذ لا امام لهم والخوارج قد صاروا على قاب قوسين او ادنى منهم .

وخاف البصريون على انفسهم من الخوارج فاجتمعوا على توجيه مسلم بن عبيس القرشي لقتالهم وجمعوا له خمسة آلاف فارس وسيروه فالتقى مسلم بالخوارج فكسروا جيشه ووقع هو قتيلا في المعركة في محل يسمى الدولاب ، فجهزوا جيشاً ثانياً (زهاء عشرة آلاف راجل) واودعوا القيادة الى عثمان بن معمر القرشي وسيروه لقتال الخوارج فلحقهم بفارس فدارة الدائرة على جيش البصريين ووقع قائده عثمان قتيلا .

خروج البصرة
من يد الامويين

وعلى اثر ماتقدم كتب البصريون الى عبد الله بن الزبير بمكة يعلمونه ان لاامام لهم ويبايعونه بالخلافة ويسألونه ان يوجه اليهم رجلا من قبله يتولى امر البصرة (١) فوجه اليهم عمر بن عبد الله بن عمر التميمي وذلك في سنة ٦٤ ﻫ و كان البصريون يومئذ منقسمين الى فرق واحزاب فاضطرب امر الادارة على الامير فعزله ابن الزبير وولى مكانه الحرث بن ابي ربيعة المخزومي وذلك في سنة ٦٥ﻫ (وسماه بعضهم الحارث) . ولما وصل الحرث الى البصرة جمع اهلها واستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج ، فطلبوا القائد المشهور المهلب بن ابي صفرة وكانت الخوارج المعروفين بالازارقة قد استولوا حينذاك على اصفهان والاهواز ومابينهما وتوجهوا نحو البصرة حتى اقتربوا منها ، و كان المهلب قد قدم من عند عبد الله بن الزبير الى البصرة وقد ولاه خراسان ، فاجتمع اشراف البصرة واميرها الحرث واحضروا المهلب وطلبوا منه ان يتولى حرب

---

(١) و كان عبد الله بن الزبير قد خرج على يزيد الاول بمكة بعد مقتل الحسين واجتمع عليه اهل مكة وبايعوه بالخلافة فدانت له بعض الاقطار فلما مات يزيد قوي امر ابن الزبير وبايعه اهل البصرة والكوفة ٠

الخوارج فاعتذر بعهده على خراسان اولاً ثم ابى طلبهم وانتخب من البصريين ممن يعرف شجاعته ونجدته اثني عشر الف مقاتل (ويروى عشرون الفاً) (١) وسار حتى التقى بالخوارج وصار يزيحهم مرحلة بعد مرحلة حتى انتهوا الى منزل من الاهواز وهناك حدثت بين الفريقين معركة هائلة كاد اهل البصرة ينهزمون لولا ثبات المهلب وقوة جأشه. واصابت المهلب ضربة في وجهه اغمى عليه منها فظن اصحابه قد مات فهاجوا وهجموا هجمة المستميت فقتلوا عدداً كبيراً من الخوارج فيهم زعيمهم نافع بن الازرق (وقيل عبيدالله بن الماحوز) وانهزم الباقون هزيمة منكرة الى كرمان وجانب اصفهان .

وبلغ اهل البصرة ان المهلب قد قتل فرجت المدينة باهلها وهم امير البصرة الحرث ان يهرب ، وبينما هم في خوف واضطراب اذ اقبل رسول المهلب يبشرهم بسلامته وبالنصر ومعه كتاب المهلب يعرفهم بالظفر وبما حدث فاستبشروا بذلك واطمئنوا اليه واقام امير البصرة بعد ان هم بالهرب وارسل كتاب المهلب الى ابن الزبير وذلك في سنة ٦٥ هـ وبقى المهلب يطارد الخوارج مدة طويلة .

---

(١) ويروى ان امير البصرة واشرافها كتبوا الى ابن الزبير في تسيير المهلب فكتب ن الزبير الى المهلب وهو يومئذ بالبصرة يأمره بحرب الخوارج، والمهلب هذا هو الذي ماه ابن الزبير سيد اهل العراق وهو من اكبر قواد ذلك العصر وتوفى سنة ٨٣ هـ نخراسان وكان واليا عليها .

وفي ايام امارة الحرث بن ابى ربيعة ارسل مروان بن الحكم في سنة ٦٥ هـ جيشين احدهما يقوده بن زياد الى اخضاع الجزيرة وولاه اياها على ان يسير بعد فتحها الى العراق لاخذه من ابن الزبير ، والثانى يقوده حبيش بن دلجة لقتال عامل ابن الزبير في المدينة (يثرب) فانتصر حبيش على امير المدينة فارسل امير البصرة الحرث جيشاً من البصرة تحت قيادة حنيف التميمى نجدة لامير المدينة فاندحر جيش حبيش ووقع هو قتيلاً في المعركة وعادت فلول جيشه الى الشام . اما ابن زياد فانه لما وصل الجزيرة اتاه كتاب عبدالملك بن مروان يخبره بموت ابيه مران ويستعمله على ما استعمله عليه ابوه ويحثه على المسير الى العراق ، فسار حتى اذا كان بعين الوردة قابلته عصابة كبيرة مقبلة من العراق تحت قيادة سليمان بن صرد الخزاعى الكوفي (١) فتقاتلوا فقتل سليمان ومعظم جيشه واقام ابن زياد هناك يترقب الفرص للزحف على العراق .

اما عبدالله بن الزبير فانه لما بلغه ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب عزله وولى البصرة عبدالله بن معمر وذلك في سنة (٦٥ هـ) وفي

( ) سليمان هذا نهض بالكوفة للاخذ بثار الحسين فاجتمع حوله خلق كثير وسموا انفسهم التوابين وهم الذين ندموا على عدم نصرتهم الحسين بن علي فقاموا للاخذ بثاره وساروا من الكوفة لقتال ابن زياد ولكنهم تمزقوا في الوقت الذي قام فيه المختار مطالباً بدم الحسين في العراق وانتقم من قاتليه .

هذه السنة حدث طاعون بالبصرة وفتك باهلها فماتت به ام الأمير عبدالله ثم مات هو ايضاً فولى ابن الزبير على البصرة ابنه حمزة وكان ضعيف الرأي والتدبير فعجز عن ادارة الامارة واحتقره البصريون فعزله ابوه واعاد الحرث ابن ابي ربيعة وذلك في سنة ٦٦ ه

وفي اثناء تلك الفوضى السائدة في العراق وغيره كان قد خرج المختار بن عبيد الثقفي بالعراق مطالباً بدم الحسين بن علي فاستولى على الكوفه في سنة ٦٦ ه (٦٧٥)م وقاتل قاتلي الحسين وظفر بهم وقتلهم وفيهم شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد بن ابي وقاص وحفص بن عمر والمذكور وغيره وبعث برؤسهم الى محمد بن الحنفية نجل الامام علي ثم حارب عبد الله بن زياد فاستولى على الموصل ولم يزل يقاتل ابن زياد حتى قتله واحرق جثته في سنة ٦٧ ه بعد ان هزم جيوشه ، ولكنه كان غير مخلص النية لاحد لانه من جملة الطامعين بالسيادة في اثناء تلك الفوضى فكان يدعو الناس الى بيعة محمد بن الحنفية ظاهراً وهو يريدها لنفسه باطنا ولم يكن محمد راضا بتلك الدعوة فكتب اليه يتبرأ منه فحول دعوته ابن الزبير فحدث بينهما اختلاف فيما انفقه المختار من بيت المال فخلع المختار طاعة ابن الزبير واستقل بالكوفة وكتب الى علي ابن الحسين يرغبه في الخلافة على ان يكون هو واهل الكوفة اول مبايعيه . فلم يجبه علي الى ما طلب ، فخشي ابن الزبير استفحال امر المختار فولى اخاه مصعباً العراقين وعهد اليه ان يقاتل المختار وان

يستعين بالمهلب ابن ابي صفرة وان يصلح شؤون المصرين (البصرة والكوفة) وذلك في سنة ٦٧ هـ.

امارة مصعب بن الزبير على العراق

تقدم ذكر الاسباب التي دعت عبدالله بن الزبير ان يولي اخاه مصعباً امارة العراقين في سنة ٦٧ هـ (٦٨٧) م خصوصاً وانه كان خائفاً من ان يحمل عبدالملك بن مروان على العراق وليس هناك من هو كفوء لملاقاته من القواد المحنكين. ولما قدم مصعب البصرة دخلها متلثماً فدخل المسجد وصعد منبره فقال الناس (امير امير) فاجتمعوا وجاء الامير المعزول (الحرث) فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحرث بصعود المنبر فاجلسه تحته بدرجة ، ثم قام مصعب فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، الى قوله ، من المفسدين (فاشار بيده نحو الشام) ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (واشار نحو الحجاز) .

ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (واشار نحو الكوفة) ثم قال : يا اهل البصرة بلغني انكم تلقبون امرائكم وقد لقبت بالجزار ،

ويروى انه قال : يا اهل البصرة لايقدم عليكم احد الا لقبتموه وانا القب نفسي بالجزار — فصاروا يلقبونه بالجزار — ومكث مصعب في البصرة اياماً ثم استقدم المهلب بن ابي صفرة ليستعين به كما امره به اخوه عبد الله وجائه اشراف الكوفة وهو بالبصرة وطلبوا منه ان يسير لتخليص الكوفة من المختار فجند جيشاً عظيما قاده بنفسه ومعه اشراف البصريين وسار الى الكوفة لقتال المختار فالتقى به وبعد عدة معارك حدثت بينهما معركة عنيفة دامت ثلاثة ايام متواليات فانهزم المختار فحصره مصعب وقتله ونزل رجاله على حكم مصعب و كانوا سبعة آلاف (ويروى ثمانية آلاف فقتلهم كلهم صبراً و بعث برأس المختار الى اخيه عبد الله ابن الزبير بمكة وذلك في سنة ٦٧ هـ و بقتل المختار تم امر ابن الزبير في العراق وهدأت احوال البصرة وغيرها. و بقي مصعب تارة يمكث في البصرة وآونة بالكوفة .

فلما كانت سنة (٧٠هـ) ارسل عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن اسيد الى البصرة ليثير القبائل التي حولها على ابن الزبير .فوصل خالد مستخفياً في خاصته ونزل على عمرو بن اصمع الباهلي فبلغ ذلك صاحب شرطة البصرة عباد بن الحصين فسار اليه يطلبه ولم يكن يومئذ مصعب بالبصرة فانهزم خالد والتجأ بخالد بن مسمع فاجاره وارسل الى قبيلتي بكر بن وائل والازد فأتته فرسان القبيلتين واول راية وصلته راية بني يشكر ، فبلغ ذلك ابن الحصين فاقبل في الخيل فتواقفوا بغير قتال فلما كان الغد سار

خالد بن معه الى محل يسمى الجفرة فجاءه مدد من عبد الملك بن مروان عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان . وفي الوقت نفسه ارسل مصعب الف فارس مدداً لابن الحصين فاشتبكوا في القتال و كانت الحرب سجالا بين الفريقين و بعد معارك دامت اربعة وعشرين يوماً اصطلحوا على شرط ان يخرج خالد من العراق فخرج وعلى اثر ذلك جاء مصعب الى البصرة فاقام بها .

ولما كانت سنة ٧١هـ سار مصعب بجماعة من رؤساء اهل العراق ووجوههم واشرافهم قاصداً مكة . فلما وصل دخل على اخيه عبد الله فقال (ياامير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم. كل مطاع في قومه. وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا اهل معصيتك وسارعوا في قطع عدوك ، فاعطهم من هذا المال) فقال عبد الله (جئتني بعبيد اهل العراق وتأمرني ان اعطيهم من مال الله لا افعل، وايم الله اني لوددت ان اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من اهل الشام) فقال رجل منهم(علقناك وعلقت اهل الشام) ثم انصرفوا وهم ناقمون عليه وقد يئسوا مما عنده لايرجون رفده ولا يطمعون فيما عنده ، ويروى انهم بعد ان رجعوا الى العراق اجتمعوا واجمعوا على خلع ابن الزبير فكتبوا سراً الى عبد الملك بن مروان ان اقبل الينا .

رجوع البصرة الى بني امية

كان مروان بن الحكم قد مات في سنة ٦٥ﻫ (٦٨٤)م وتولى مكانه ابنه الداهية عبد الملك فاشتغل باخماد الثورات التي كانت في سورية ثم ارسل في سنة ٧٠ﻫ خالداً ابن عبد الله ليثير القبائل العراقية على ابن الزبير (كجس النبض) فلما انتهى من اشغاله في سورية في سنة ٧٢ﻫ استعد لقتال عبد الله بن الزبير وكان قد بلغه ماجرى في العراق على يد المختار ثم على يد مصعب وماحدث من الفتن والثورات حتى دانت البلاد العراقية لابن الزبير، وبلغ عبد الله بن الزبير استعداد عبد الملك فكتب الى اخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير الى الشام لقتال عبد الملك فاستعد مصعب للمسير وجهز الجيوش وجعل على مقدمته ابراهيم ابن الاشتر وفي الوقت نفسه جهز عبد الملك جيشا عرمرما وسار به من الشام قاصداً العراق لمحاربة مصعب بن الزبير واستصحب معه جماعة من القواد الكبار فيهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فالتقى الجيشان بمسكن (١) وذلك في سنة ٧٢ ﻫ

وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني. اكلمك . فدنا كل واحد من صاحبه وتنحي الناس ، فسلم عبد الملك عليه وقال له (يامصعب قد علمت ما

---

(١) مسكن موضع بالعراق قريب من اوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

اجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من اخائي وصحبتي ، والله انا خير لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ بيعة هذين المصرين (البصرة والكوفة) والامر امرك لاتعصي ولاتخالف وان شئت اتخذتك وزيراً لاتعصي) فقال له مصعب (اما ماذكرت في من ثقتي بك ومودتي واخائي فذلك كما ذكرته ولكن بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو اقرب رحما مني اليك واولى بما عندك فقتلته غدرا ، ووالله لو قتلته في ضرب وحرب لمسك عاره ولما سلمت من اثمه ، واما ماذكرته من انك خير لي من اخي فدع عنك ابا بكر واياك واياه لاتتعرض له واتركه ماتركك واربح عاجل عافيته وارج الله في السلامة من عاقبته) فقال عبد الملك (لاتخوفني به فو الله اني لا علم منه مثل ماتعلم ، ان فيه ثلاث لايسود بها ابداً . عجب قد ملائه ، واستغناء برأيه وبخل التزمه .

فلما يئس عبد الملك من مصعب رجع الى مقره وكتب الى رؤساء العراقين (البصرة والكوفة) الذين هم امراء جيش مصعب يفسدهم عليه ويدعوهم الى نفسه ويوعدهم خيراً ان اطاعوه ويهددهم شراً ان هم عصوه وجعل لهم اموالا عامة وعهوداً وشروطا . وكتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي قائد مقدمة مصعب يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير ، فاجابه اكثرهم وشرطوا عليه شروطا

وسألوه الولايات لان نياتهم كانت قد فسدت على ابن الزبير حتى قيل ان اربعين زعيما منهم سألوه ولاية اصبهان ، فقال عبد الملك لمن حضره. ويحكم ما اصبهان هذه، تعجبا ممن طلبها ، كل ذلك جرى ومصعب لا يتصور الغدر في اصحابه . فجاءه احدهم وهو ابراهيم بن الاشتر فاراه كتاب عبد الملك واكد له انه كاتب غيره ونصحه ان يستوثق منهم او يقتلهم لئلا يكونوا سببا لفشله فقال مصعب (ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من امرهم ، قال ابراهيم فاخرى ، قال. وماهي، قال ، احبسهم في السجن حتى يتبين ذلك ، فابى مصعب ، فقال ابراهيم عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وكان ابراهيم هذا قد قال لمصعب قبل ذلك دعني ادعو اهل الكوفة بدعوة لايخلعونها ابداً وهي ما شرط الله ، فقال مصعب ، لا والله لا افعل .لا اكون قتلتهم بالامس واستنصر بهم اليوم .

وعلى اثر ذلك اشتبكوا في القتال والتحم الجيشان فلما حمي وطيس الحرب حول هؤلاء الرؤساء برؤسهم ومالوا الى عبد الملك وانظموا اليه بجموعهم . ومصعب ينظر اليهم وقد ندم على عدم سماعه النصيحة من ابراهيم ولات ساعة مندم وبقي في شرذمة قليلة من المخلصين له. فلما غدر اهل العراق بمصعب وانجلت خيانتهم قال لابنه عيسى (يابني انج بنفسك فلعن الله اهل العراق اهل الشقاق والنفاق) فقال عيسى (لا

خير في الحياة بعدك يا اباه) وظل يقاتل مع ابيه قتالا شديداً حتي قتل هو وابراهيم بن الاشتر وجماعة من انصار مصعب وحمل عبيدالله بن زياد بن ظبيان على مصعب فقال: ايها الناس ايها الامير ، فقال مصعب غدر كم يااهل العراق ، فرفع عبيد الله سيفه ليضرب مصعباً فبدره مصعب بالسيف علي البيضه فنشب فيها فجعل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة فجاء غلام لعبيد الله فضرب مصعبا بالسيف فقتله ثم حز رأسه عبيد الله وسار به الى عبد الملك فلما رآه سجد شكراً لله وذلك في جمادي الاخرة سنة ٧٢ﻫ ودفن مصعب في محل المعركة ولم يكن لفشله سبب غير غدر اهل المصرين (البصرة والكوفة) .

امارة خالد

وعلى اثر ما تقدم بايع اهل العراق لعبد الملك بن مروان فدخل الكوفة باحتفال عظيم فبايعه اهلها . ولما سكن الحال ولى على البصرة خالداً بن عبدالله بن خالد بن أسيد . وبعد ان دبر عبدالملك شؤون البلاد العراقية جهز الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش كبير (قيل ارسل معه الف وخمسمائة من اهل الشام عدا اهل العراق) وسيره لقتال عبدالله بن الزبير بمكة فانتصر الحجاج ومات ابن الزبير قتيلاً في سنة ٧٣ ﻫ وانتهت الخلافة ولم يبق امام عبد الملك من مناظر. وكانت مدة حكم ابن الزبير على البصرة

ثمانية سنوات (٦٤ — ٧٢) ه اما امير البصرة الجديد خالد بن عبدالله فانه عزل المهلب بن ابي صفرة عن حرب الخوارج وولاه الاهواز وارسل اخاه عبدالعزيز بن عبدالله على حرب الخوارج فهزموه هزيمة منكرة ، فلما بلغ خالداً خبر الهزيمة كتب الى عبدالملك يخبره بها ، فكتب اليه يقول (اما بعد فقد قدم رسولك بكتابك تعلمني فيه بعثتك اخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني انه عامل لك على الاهواز ، فقبح الله رأيك حين تبعث اخاك اعرابياً من اهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجبي الخراج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابنائها انظر ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر ان يمدك بجيش من اهل الكوفة فاذا لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه انشاء الله) . فخرج خالد بجيش البصرة وجائه المدد من الكوفة (خمسة الاف مقاتل) فسار حتى وصل الاهواز ففشلت جيوشه . فلما علم بذلك عبدالملك ورآه غير ممتثل لامره عزله وضم البصرة الى اخيه بشر بن مروان وذلك في سنة ٧٢ ه وصارت له امارة المصرين (البصرة والكوفة). وفي ايام امارة خالد في سنة ٧٢ ه اجتمع الزنوج بفرات البصرة ونهبوا وسلبوا ودمروا بعض القرى المجاورة للبصرة فجمع لهم خالد جيشاً فهزمهم وقبض

على جماعة منهم فقتلهم . وعلى اثر ذلك اجتمع الزنوج وأمروا عليهم رباح الملقب بشير زنجي وساروا لقتال البصريين فحدثت بين الفريقين عدة معارك انجلت عن تمزيق الزنوج .

ولما ضم عبدالملك البصرة الى اخيه بشر في سنة ٧٢هـ استخلف على الكوفة عمرو بن حريث وسار الى البصرة فورده كتاب عبدالملك يقول فيه (اما بعد فابعث المهلب في اهل مصره الى الازارقة (الخوارج) ولينتخب من اهل مصره ووجوههم وفرسانهم واولى الفضل والتجربة منهم فانه اعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فاني اوثق شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين) . فدعا بشر المهلب وتلى عليه كتاب عبدالملك فلبى الامر وشرعا بتجهيز الجيوش وجاءتهم نجدة من الكوفة فسار المهلب بالجيوش حتى وصل رامهرمز وبها الخوارج وقبل الاشتباك بالحرب جاءهم نعي بشر بن مروان من البصرة وخبر اسناد امارة البصرة الى خالد بن عبدالله بن أسيد فرفض القتال كثير من اهل البصرة والكوفة فكتب اليهم خالد يأمرهم بالعودة ويحذرهم المخالفة فلم يجد ذلك فيهم نفعاً وذلك في سنة ٧٣ هـ . وفي ايام بشر كثرت الخوارج في اطراف البصرة واغاروا على القرى وخربوا عدة منها وقتلوا ونهبوا فجهز لهم بشر فمزق جموعهم .

امارة الحجاج

دخلت سنة ٧٥ هـ الموافقة لسنة ٦٩٥ م فولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراقين (البصرة والكوفة) (١) فوصل الحجاج الكوفة في اثني عشر راكبا على النجائب وارسل الى البصرة الحكم بن ايوب الثقفي اميراً من قبله، وبعد ايام قليلة سار الحجاج الى البصرة فاستقبله الناس فلما وصلها دخل مسجدها وخطب خطبة تشابه خطبته بالكوفة وبعد ان هددهم وتوعدهم قال ان امير المؤمنين امرني باعطائكم اعطياتكم وان اوجهكم لمحاربة عدوكم (يعني الخوارج) مع المهلب بن ابي صفرة ، واني اقسم بالله لا اجد رجلا تخلف بعد اخذه عطائه بثلاثة ايام الا ضربت عنقه) ثم نزل فوضع للناس اعطياتهم فجعلوا يأخذون ، فجائه رجل يشكري فقال ايها الامير ان بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردود في بيت المال. فلم يقبل الحجاج عذره وقتله ، ففزع لذلك البصريون خصوصاً وانهم كانوا قد حقدوا عليه واضمروا له الشر منذ اغلظ لهم القول في خطبته وتهددهم، فخرجوا حتى تداركوا على العارض بقنطرة رامهرمز وخرج الحجاج حتى نزل رستقاباذ ومعه وجوه اهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخا فقام الحجاج في الناس فقال (ان الزيادة التي

( ) ثم ضم اليه في سنة ٧٨ هـ ولاية خراسان وسجستان .

زاد كم ابن الزبير في اعطياتكم لست اجيزها) فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدي وقال (انها ليست بزيادة ابن الزبير ولكنها زيادة امير المؤمنين عبد الملك اثبتها لنا) فكذبه الحجاج وتوعده وذلك في اوائل شعبان سنة ٧٥هـ . ثم وجه الحجاج المهلب لقتال الخوارج ووجه معه البصريين والكوفيين وظل المهلب يطارد الخوارج مدة حتى قهرهم بعد ان جرت له معهم حروب عديدة لامحل لذكرها هنا وظل البصريون يضمرون الشر للحجاج حتى اجتمعوا سراً فبايعوا عبد الله بن الجارود بالامارة فخرج ابن الجارود في سنة ٧٧هـ وتبعه وجوه البصرة فتجهز الحجاج لقتالهم وبعد عدة معارك خاف اصحاب ابن الجارود من ان يمد عبد الملك الحجاج بالجيوش فانظمت اليه جماعة بعد اخرى حتى انحاز اكثرهم الى الحجاج وظل ابن الجارود بشرذمة قليلة فانتصر الحجاج وقتل زعيم الثورة ابن الجارود وجماعة من اصحابه ودخل البصرة ظافراً . ثم حدثت الحروب المشهورة بين الحجاج وشبيب بالكوفة كان النصر في آخرها للحجاج.

استيلاء ابن الاشعث على البصرة

ولما بعث الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث الى سجستان لقتال الثائرين هناك جهز عشرين الفاً من البصرة ومثلهم من الكوفة وسيرهم معه الى سجستان . فلما صالح ابن الاشعث الثائرين عزله الحجاج

فاتفق ابن الاشعث مع رؤساء جيشه على الخروج على الحجاج فعادوا من سجستان فلما كانوا في فارس خلعوا عبد الملك بن مروان و بايعوا ابن الاشعث فسار بهم الى العراق قاصداً قتال الحجاج ونفيه من البلاد وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يخبره و يسأله ان يوجه اليه الجنود من الشام . فبادر عبد الملك بارسال الجنود والحجاج مقيم بالبصرة. و بعد قليل وصل ابن الاشعث العراق فالتقى جيشه بجيش الحجاج في تستر فانكسرت مقدمة الحجاج وجائته الهزيمة فرجع ونزل الزاوية وجائت جيوش ابن الاشعث حتى نزلت البصرة فبايعه اهلها وكان دخوله فيها في آخر ذي الحجة سنة ٨١ ﻫ

وعلى اثر ذلك جمع الحجاج جيشه وجائته الامدادات من سورية فتقابل الجيشان بالزاوية فانكسرت جيوش ابن الاشعث فاضطر الى الخروج من البصرة فخرج منها وسار الى الكوفة . اما الحجاج فانه ولى على البصرة اميرها السابق الحكم بن ايوب الثقفي وسار هو بجيوشه في اثر ابن الاشعث وبعد حروب استمرت مدة طويلة انتصر الحجاج انتصاراً نهائياً في جمادى الآخرة سنة ٨٣ ﻫ وفر ابن الاشعث الى سجستان وهناك مات منتحراً.

وفي ايامه في سنة ٨٠ ﻫ حدث بالبصرة طاعون فمات به خلق كثير وفر منه عدد كبير من البصريين وتفرقوا في البلاد .

ولما مات عبد الملك بن مروان في سنة ٨٦ ﻫ الموافقة لسنة ٧٠٥م

وتولى ابنه الوليد اقر الحجاج على العراق وخراسان والشرق كله وفي سنة ٨٧ هـ ولى الحجاج البصرة الجراح بن عبد الله العكي ثم مات الحجاج في سنة ٩٥ هـ الموافقة لسنة ٧١٣ م بمدينة واسط التي بناها في سنة ٨١هـ بعد ان حكم العراق زهاء عشرين سنة .

استيلاء ابن المهلب على البصرة

كان الحجاج لما حضرته الوفاة قد استخلف على حرب المصرين يزيد بن ابي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن ابي مسلم وعلى الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج فاقرهم الوليد بن عبد الملك ، ثم ولى امارة العراق في السنة نفسها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وذلك في سنة ٩٥ هـ.

فلما مات الوليد في سنة ٩٦ هـ (٧١٤) م وبويع لاخيه سليمان بن عبد الملك ولى العراق يزيد بن المهلب بن ابي صفرة فاقام يزيد بالبصرة فلما كانت سنة ٩٧ هـ نقله الى ولاية خراسان وولى على البصرة بدله عبد الله بن هلال الكلابي ثم عزله في سنة ٩٨ هـ وجعل مكانه سفيان بن عبد الله الكندي .

ولما مات سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٩ هـ الموافقة لسنة ٧١٧م وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولى على البصرة عدي بن ارطاة الفزاري وولى قضاءها اياس بن معاوية بن قرة بن اياس بن هلال القاضي المشهور وفي السنة نفسها عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وامر بالقبض

عليه واحضاره وكان يزيد يومئذ في خراسان فاقبل منهـا يريد العراق فلما دخل البصرة قبض عليه اميرها عدى بن ارطاة فحبسة ثم اوثقه و بعثه مخفوراالى عمربن عبدالعزيز بدمشق، فلما حضر سأله عمر عن الاموال التي كتب بها الى سليمان بن عبد الملك فقال يزيد (كنت من سليمان بالمكان الذى قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس وقدعلمت ان سليمان لم يكن ليأخذني به) فقال عمر (لا اجد فى امرك الاحبسك فاتق الله واد ماقبلك فانها حقوق المسلمين ولايسعني تركها) فلما لم يجد عمر عند يزيد عذراً مقبولا امر بحبسه بحصن حلب واستمر يزيد ابن المهلب في سجنه ، فلما مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذي مات فيه في سنة ١٠١ هـ (٧٢٠) م حس ان المهلب بقرب موت عمر فاعد للهرب عدته خوفا من يزيد بن عبد الملك لعداوة بينهما فانهزم من السجن قاصداً البصرة وكتب الى عمر (انى والله لو وثقت بحياتك لم اخرج من محبسك ولكني خفت ان يلى الخلافة يزيد بن عبد الملك فيقتلني شر قتلة) فوصل كتابه و بعمر رمق فقال (اللهم ان كان يريد بالمسلمين سوءاً فالحقه به وهضه فقدهاضني)

ومات عمر بعد ايام قليلة وتولى مكانه يزيد بن عبد الملك بن مروان.فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فخلع طاعة بني مروان ولحق بالبصرة ودعا لنفسه فاجتمع حوله خلق وبلغ جيشه مائة وعشرين الف مقاتل

فحمل على البصرة بعد ان استولى على اطرافها وعلى فارس والاهواز، فحصن البصرة اميرها عدي بن ارطاة ودافع عنها دفاعا شديداً وبعد حروب استولى ابن المهلب على البصرة وقبض على عدي وجماعة من اصحابه فحبسهم واستعمل الشدة فهرب جماعة من اعيان البصرة الى الشام وجماعة الى الكوفة وذلك في سنة ١٠١هـ (٧٢٠)م وقوي امر ابن المهلب فخافه يزيد بن عبد الملك فجهز جيشاً كبيراً من الشام بلغ عدده ثمانين الف مقاتل وسيره تحت قيادة اخيه مسلمة بن عبد الملك وارسل معه ابن اخيه العباس بن الوليد وذلك في سنة ١٠٢هـ

اما ابن المهلب فانه لما بلغه قدوم جيش ابن عبد الملك استعد لملاقاته وجمع اهل البصرة فخطب فيهم ودعاهم الى كتاب الله وسنة نبيه وحثهم على جهاد بني امية وزعم ان قتال اهل الشام اعظم ثوابا من قتال الترك والديلم ، فانضم اليه من البصريين عدد كبير ، فلما تهيأ للمسير اصطف له البصريون صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروجه ويقولون : يدعونا الى سنة العمرين ، فاتفق ان مر الحسن البصري سيد فقهاء اهل البصرة فرأى الرايات والرماح وصفوف البصريين فقال: (كان يزيد بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء القوم رضاهم فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقا ثم قال اني قد خالفتهم فخالفوهم فقال هؤلاء القوم

نعم وقال اني ادعوكم الى سنة العمرين ، وان من سنة العمرين ان يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذي فيه حبسه) ويروى ان الحسن كان ممن حضر خطبة ابن المهلب فلما سمعها قال (والله لقد رأيناك واليا ومولياً فما ينبغي لك ذلك) فقام النـاس فاسكتوه خوفا من ان يسمعه ابن المهلب .

ثم ولى ابن المهلب اخاه مروان على البصرة (وقيل استخلف على البصرة ابنه معاوية) وخرج بجيوشه حتى اتى واسطا فاقام بها اياماً ثم سار منها حتى نزل العقر واقبل مسلمة بن عبدالملك فنزل بجيوشه على ابن المهلب فاشتبكوا في القتال فكانت بين الفريقين حروب هائلة دامت ثمانية ايام فلما حمى وطيس الحرب تفرق اصحاب ابن المهلب وثبت معه البصريون فاستمات ابن المهلب وهجم باصحابه الصادقين هجمات هائلة لم يسمع بمثلها حتى قتل في يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٠٢ هـ وقتل معه اخوه حبيب بن المهلب (١) وجماعة من اصحابه المخلصين وفر من نجا ، وقتل في هذه الحادثة ثمانية عشر الف رجل من البصريين (ويروى ثمانيـة وعشرون الفاً) فلما بلغ اهل البصرة خبر قتلاهم ارتجت المدينة و كثرت فيها المآتم حتى قيل ان المآتم دامت نحو سنة .

---

(١) ولما بلغ آل المهلب بالبصرة خبر هذه الفاجعة قتلوا من كان في سجنهم وفيهم عدي بن ارطاة وحملوا عيالاتهم واموالهم في السفن وساروا الى كرمان وهناك تمزقوا

ولما انتهت فتنة ابن المهلب اسند يزيد بن عبدالملك امارة العراق وخراسان الى اخيه مسلمة ، فاستخلف هذا الامير على البصرة عبدالرحمن بن سليمان الكلبي وذلك في سنة ١٠٢ هـ ثم عزل يزيد اخاه مسلمة في سنة ١٠٣ هـ وارسل بدله عمر بن هبيرة الفزاري فاستخلف ابن هبيرة على البصرة موسى بن عبدالله . فلما مات يزيد وتولى اخوه هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م)اقر ابن هبيرة على العراق ثم عزله في سنه ١٠٦ هـ وولى مكانه خالد بن عبدالله القسري فارسل خالد عقبة بن عبد الاعلى أميراً على البصرة حتى اذا كانت سنة ١٠٩ هـ عزله ووجه امارة البصرة الى ابان بن صبارة اليثربي ثم عزله في سنة ١١٠ هـ فولى مكانه بلال بن ابى بكرة « ويروى ابن ابى بردة »وضم اليه قضاء البصرة وفي اول امارته في سنة ١١٠ هـ مات بالبصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشاعر المشهور الفرزدق . وفي ايامه في سنة ١١٦ هـ حدث بالبصرة طاعون داما اكثر من شهر فمات به عدد كبير من البصريين ، وفى ايامه احصيت نفوس اهل البصرة بعد الطاعون فكانت ثلثمائةالف نسمة . ولما كانت سنة ١٢٠ هـ عزل هشام خالدا عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمرو الثقفي فارسل يوسف كثير بن عبدالله السلمى اميراً على البصرة . فمات هشام فى سنة ١٢٥ هـ « ٧٤٣ » م وتولى بعده الوليدبن

يزيد بن عبد الملك فقتل فى سنة ١٢٦ ﻫ وجلس مكانه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فولى امارة العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز فى السنة نفسها فاستخلف على البصرة المسور بن عمرو بن عباد وفى ايامه ظهرت الدعوة العباسية ودخل البصرة سراً دعاة بني العباس فنشروا دعوتهم فاستجاب لهم كثير من البصريين خفية لانهم كانوا قد سئموا حكم الامويين فلما مات يزيد بعد ستة اشهر بويع لابراهيم بن الوليد فخلع نفسه وبايع مروان بن محمد فى سنة ١٢٧ﻫ « ٧٤٥ » م وفى كل هذه المدة كانت الفتن متوالية فى العراق. بل ان المملكة الاسلامية كانت بعد هشام ابن عبد الملك كشعلة نار

انقراض الدولة الاموية من البصرة

كان مروان بن محمد قد اقر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على امارة العراق فخرج عليه الضحاك بن قيس فحدثت بينه وبين عبدالله ابن عبد العزيز عدة حروب انتصر في اكثرها الضحاك ثم حمل على البصرة وحاصرها ثمانية ايام حتى اضطر اميرها المسور الى تسليمها فسلمها الى الضحاك بعد ان اعطاه الامان . وذلك في سنة ١٢٨ﻫ (٧٤٥م) فبلغ ذلك مروان فعزل عبد الله بن عمر عن العراق وارسل بدله يزيد بن هبيرة وسير معه جيشا كبيراً لقتال الضحاك وغيره من الخوارج و بعد

ان قمع يزيد من بالكوفة من الخوارج سار الى البصرة وحارب من حولها من الخوارج احدى عشر يوما فاسترد البصرة وانهزم الضحاك فدخل يزيد البصرة ظافرا وضبط نواحيها وولى عليها شبيب بن شيبة فساد الامن فيها وذلك في سنة ١٢٩ه وعلى اثر ذلك ثار في العراق سليمان ابن هشام بن عبد الملك وطلب الخلافة لنفسه وانضم اليه عشرة آلاف من البصريين و بايعوه بالخلافة ثم سار بجموع لحرب مروان بالشام فلاقاه مروان فانتصر عليه وتمزقت جموع سليمـان .

وفي ايام ابن هبيرة حدث بالبصرة في سنة ٢٣٠ ه طاعون فمات به خلق كثير وعلى ذلك تولى امارة البصرة مسلم بن قتيبة البـاهلي في سنة ١٣١ ه وفي ايامه قوي امر بني العباس وظهرت دعوتهم فـكانت الضربة القاضية على بني امية.

ولما انتشرت عساكر العباسيين حصن البصرة مسلم بن قتيبة واستعد للدفاع فارسل عبدالله السفاح مؤسس الدولة العباسية جيشاً كبيراً لاخذ البصرة بقيادة سفيان بن معاوية ابن يزيد بن المهلب ووجه اليه امارة البصرة. فلما وصل سفيان طلب تسليم المدينة فابى اميرها مسلم معتمداً على مـا عنده من العدد والعدد اذ كان في البصرة حينذاك جماعة من بني امية وكثير من ولاة الامويين الذين فروا من خراسان بعد تغلب قواد بني العباس عليها ، وكان فيها اربعة آلاف مقاتل جئت نجدة اليه عـدا

جيوش المدينة .

فلما رأى سفيان امتناع مسلم باشر الحرب فاشتدت المعارك سبعة ايام متوالية فانجلت عن انتصار جيوش بنى العباس فدخل سفيان البصرة منصوراً وعلى يده انقرضت دولة بنى امية من البصرة وذلك في سنة ١٣٢ هـ وقد قتل في هذه الحادثة عدد كثير من البصريين ونكبت هذه المدينة نكبة عظيمة يوم سقوطها اذقام الرعاع فنهبوا وسلبوا وقتلوا. فنهبت اكثر الاسواق وخربت دور كثيرة· قيل بلغ عددها سبعة آلاف داراً واحصي من قتل في هذه الفتنة من اهل البصرة فكانوا احدى عشر الفا .

ولما دخل القائد العباسي سفيان اعلن الامان وامر مناديه فاجتمع الناس في المسجد فخطب فيهم لبني العباس فبايع الناس للسفاح ثم شرع في تنظيم شؤون امارته ثم قبض على جماعة من بني امية الذين كانوا في البصرة فقتلهم وصلب جثثهم وكتب بالفتح و بالخبر الى الخليفة السفاح بالكوفة

تتمة لما مر

كان الامويون كثيري الاهتمام بشؤون البصرة لاهمية موقعها الجغرافي والتجاري والسياسي ولكونها وسطا بين سوريه والحجاز وفارس وبين النهرين ولذلك اتخذوها في بعض الاحيان مقراً لامارة العراق .

ولما رأى الناس اعتنائهم الشديد بهذه المدينة تهافتوا اليها من كل الجهات حتى اصبحت في عهدهم من اعظم مدن الشرق وصارت مهداً للعلوم والفنون والآداب ومركزا للتجارة والصناعة ومجتمعا لكبار الرجال من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء وغيرهم .

ومع وجود الفتن والاضطرابات احيانا حول المدينة واخرى في داخلها كانت عمارتها في ايامهم تزداد عاما فعاما حتى قيل بلغت مساحتها في ايام امارة خالد بن عبد الله القسرى ٣٦ ميلا مربعا عدى المغارس التي بها البساتين والانهار ، وبالغ بعضهم فقال بلغت انهارها التي تجري فيها الزوارق في ايام امارة بلال بن ابى بردة مائة وعشرين الفا .

وكان الولاة في عهدهم يتصرفون في الامارة ويجبون الاموال و ينفقون منها على الجند وفي ما تقتضيه الحالة وعلى العمارة من اصلاح الجسور وحفر الترع وغير ذلك ثم يرسلون ما بقي الى بيت المال في مركز الامارة العامة (الكوفة) . او الى بيت المال في العاصمة (دمشق)

وكانت امارة العراق في عهدهم تسمى امارة العراقين لاشتمالها على البصرة والكوفة . وكان كل امير يتصرف في امارته تصرف الملوك المستقلين . ومع وجود الاضطرابات في العراق فقد بلغ معدل خراج العراق في ايامهم (١٣٠٠٠٠٠٠٠) درهم سنويا

البصرة في عهد العباسيين

قامت دولة بني العباس في ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٢هـ واتخذ السفاح مدينة الكوفة مقراً له فبعث في السنة نفسها عساكره لاخذ البصرة من الامويين فانسلخت منهم على يد القائد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كما تقدم ذكره وكان السفاح قد اسند امارة البصرة الى سفيان المذكور وهو اول عامل لبنى العباس على البصرة ثم عزله (١) في سنة ١٣٣هـ وولى عليها عمه سليمان بن علي وضم اليه السواد ودجلة والبحرين وعمان فزهت البصرة في ايامه وعمر ماخرب منها في الفتن الماضيات .

فلما مات السفاح بالهاشمية في سنة ١٣٦هـ وتولى اخوه ابو جعفر المنصور أقر عمه سليمان بن علي على البصرة ولكنه عزله في سنة ١٣٩هـ وولى عليها سفيان بن معاوية (مرة ثانية) وامره بقتل عمه عبد الله بن علي الذي كان قد التجأ باخيه سليمان بن علي يوم امارته على البصرة على اثر خروجه على الخليفة ، وأمره بقتل حاشيته وكل من تحزب له من البصريين ففتك سفيان بجماعة كبيرة من البصريين لتحزبهم الى عبد الله .

---

(١) ويروى ان السفاح عزل سفيان هذا فى اواخر سنة ١٣٢ هـ وولى البصرة سفيان بن عيينة المهلبي .

وسفيان هذا هو الذي قتل عبد الله ابن المقفع بالبصرة في سنة ١٤٢ ه بسبب مااتهم به من الزندقة والكيد للاسلام بترجمته كتب الزنادقة.
وفي ايامه حفر في سنة ١٤٠ ه ابو الخصيب مرزوق مولى ابى جعفر المنصور نهراً في جنوبي البصرة فسمي باسمه (نهر ابى الخصيب وهو المعروف بهذا الاسم حتى اليوم) وغرس عليه نخيلا واشجاراً و بنى على صدره قصراً فخماً .

وفي ايامه ثار عيينة بن موسى بن كعب في البصرة في سنة ١٤٢ ه وخرج على الخليفة فقدم الخليفة الى البصرة بجيش كثيف فقمع تلك الفتنة ثم امر ببناء جسر من القوارب والخشب في البصرة وعمر ما كان قد خرب من المدينه وامن السبيل ورجع الى مقره .

فتنة ابراهيم بن عبد الله واستيلائه على البصرة

فلما كانت سنة ١٤٥ ه قدم البصرة من الحجاز ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الامام علي بثلاثين الف مقاتل فدخل البصرة وبايعه اهلها ثم ارسل من استولى على الاهواز وواسط و كان اخوه محمد بن عبد الله قد خرج بالمدينة (يثرب) على ابى جعفر المنصور فبايعه اهلها بالخلافة ولقبوه بالمهدي وبالنفس الزكية فلما كثرت اتباعه وقوي امره

ارسل اخاه ابراهيم هـذا لقتال ابي جعفر المنصور في العراق ومحو الدولة العباسية معتمداً على ميل اكثر العراقيين واهل فارس لبنى علي وفاته انهم لم يخلصوا النية لاحد في الجاهلية ولا في الاسلام وانهم هم الذين غدروا باسلافه.

فلما بلغ ذلك ابا جعفر المنصور داهية بني العباس وزعيمهم استعد لملاقاته ، وكان قد ارسل قبل قدوم ابراهيم ابن أخيه عيسى بن موسى بجيش كثيف الى الحجاز لقتال محمد بن عبدالله فقاتله وقتل انصاره وفي الاخير قتله وفل جوعه وفتك بكثير من العلويين ثم عاد الى العراق فأمره بقتـال ابراهيم و كان ابراهيم قد وصله نعي اخيه وماحل بأمره فحمل على الكوفة فلاقاه عيسى فتمكن بمهارته الحربية وحسن سياسته وتدبيره من تمزيق جيش ابراهيم وقتله ، وقد قتل فى هذه الحرب عدد كثير من البصريين الذين انضموا الى ابراهيم قيل كان عددهم عشرين الفاً .

فلما انتهى ابو جعفر المنصور من فتنة ابراهيم بالبصرة ولى عليها فى اواخر سنة ١٤٥ هـ مسلم بن قتيبة الباهلي ثم أمره فى سنة ١٤٦ هـ بقتل انصار ابراهيم من البصريين وتخريب دورهم ومصادرة اموالهم فخشى مسلم عاقبة ذلك الفتك لما فى هؤلاء من كبار الرجال من اهل النجدة والشرف فتوقف فى أمرهم فعزله المنصور وولى عليها محمد بن سليمان بن علي العباسي .

ولما قدم البصرة محمد بن سليمان قبض على خمس وخمسين رجلاً

من وجهاء البصرة واشرافها فصلبهم ثم قبض على خمسمائة رجل من البصريين وارسلهم الى الخليفة ابي جعفر المنصور مكبلين في الحديد وصادر اموال الجميع وهدم دورهم وخرب بساتينهم (ويروى انه هدم ثلاثة آلاف دار ، واتلف نحو عشرين الف من النخيل) وكان عمله هذا من النكبات العظيمة التي نزلت بالبصريين . وذلك في سنة ١٤٦ﻫ

الاضطرابات في البصرة

وتولى امارة البصرة بعد مسلم بن قتيبة محمد بن عبد الله السفاح في سنة ١٤٧ ﻫ ولكنه استقال بعد ثلاثة اشهر فوجهت امارة البصرة في السنة نفسها الى نخبة ابن سالم ثم عزل في سنة ١٥٠ ﻫ وتولى مكانه عقبة بن مسلم .

ولم تكن البصرة خالية من الاضطرابات منذ فتنة ابراهيم بن عبد الله ومع ذلك فانها كانت زاهرة زاهية بالعلماء الاعلام وازدحمت برجال العلم والادب ووصلت فيها العلوم العربية واللغة والآداب الى اوجها .

وبقي عقبة بن مسلم اميراً على البصرة الى سنة ١٥٢ ﻫ فحدثت ثورة بالبحرين فاودع الخليفة اليه اخمادها فسار من البصرة ووجهت امارتها الى جابر بن توبة ثم عزل بعد قليل وتولى مكانه يزيد بن منصور وفي

ايامهذا الاميرفي سنة ١٥٣ ه قدم الخليفة ابو جعفر المنصور من مكة الى البصرة بعد الحج ونزل في الجسر الكبير بالبصرة واقام بضعة ايـام يتفقد احوالها ثم سار الى بغداد وبعـد مسيره بقليل ولى البصرة عبد الملك بن ظبيان النميري في سنة ١٥٤ ه (١) وكان هذا ضعيف التدبير فاستخف به اهل البصرة وكثرت فيها اللصوص وفقد الامن فعزله الخليفة في سنة ١٥٥ه وأمر على البصرة الهيثم بن معـاوية العتكي وكان من الولاة القديرين فاعاد الامن الى نصابه وسار سـيرة حسنة في الاهلـين. وفي ايامه زار البصرة الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٥ه واقام بها اربعين يوماً وبني فيها قصراً فخماً ثم عاد الى بغداد وكتب الى الهيثم يأمره ببناء سور عـلى البصرة فبناه في السنة نفسها (١٥٥). وعلى اثر ذلك ظفر الهيثم في سنة ١٥٦ه بعمرو بن شداد الذي كان عاملاً لابراهيم بن عبد الله على فارس فقتله بالبصرة ثم صلب جثته. وفي ايام هذا الامير توفي بالبصرة قاضيها سوار بن عبـد الله في سنـة ١٥٧ ه .

.ولما مات الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٨ه وتولى الامر ابنه محمد المهدي اقر على البصرة الهيثم بن معاوية ثم عزله في سنـة ١٦٠ه وارسل بدله محمد بن سليمان العباسي وضم اليه كور دجـلة والبحرين .

---

(١) ويروى انه ولى عقبة بن مسلم في سنة ١٥٤ ه ثم عبد الملك .

فزهت البصرة في ايامه وزادت عمارتها وامتدت ابنيتها و كثرت خيراتها وازدحمت بالناس حتى ضاق مسجدها المشهور بالمصلين لكثرتهم حتى قيل بلغ عدد المصلين يوم ذلك عشرين الف رجل واضطر الامير ان يستأذن من الخليفة بتوسيع المسجد فاذن له في سنة ١٦٠هـ فوسعه و بلغت النفقة على توسيعه مائة الف درهم صرفت بأذن من الخليفة من بيت مال البصرة .

وظل محمد بن سليمان اميراً على البصرة الى سنة ١٦٦ هـ فعزله الخليفة محمد المهدي وولى عليها روح بن حاتم، وفي ايام هذا الامير في سنة ١٦٧ هـ ثارت القبائل القاطنة بين البصرة والبحرين وخرجوا على الحكومة ثم هجموا على نواحي البصرة ونهبوا وخربوا وقتلوا فجهز الامير لقتالهم جيشاً فاندحر جيشه فاضطر الى طلب النجدة من بغداد فامده الخليفة بجيش كبير فتمكن من قمع تلك الثورة وعادت الامور الى مجاريها .

البصرة في عهد الرشيد

توفي الخليفة محمد المهدي في سنة ١٦٩ هـ و بويع لابنه موسى الهادي فعزل روحاً عن البصرة وولاها محمد بن سليمان (المرة الثانية) فبقي محمد على البصرة حتى مات موسى الهادي في سنة ١٧٠ هـ وتولى الخلافه اخوه هرون الرشيد فاقره على البصرة وظل عليها الى ان مات بها في سنة ١٧٣ هـ

فولى هرون الرشيد مكانه سليمان بن جعفر ثم عزله بعد ستة اشهر وارسل بدله عيسى بن جعفر ثم عزله في سنة ١٧٤ هـ وولى عليها عبد الصمد بن علي العباسي ثم ولى عليها في سنة ١٧٧ هـ مالك بن علي الخزاعي.

ولم يحدث بالبصرة منذ تولى الخلافة الهادي الى هذه السنة (١٧٧) ما يكدر جو السياسة او ما يخل بالادارة والامن بل كانت هذه المدينة تزداد عمارتها يوماً فيوماً وتكثر خيراتها شهراً فشهراً وازدحمت بالعلماء الاعلام حتى وصلت الى ارقى درجات الكمال خصوصاً في ايام هرون الرشيد فانها صارت من اكبر مدن الاسلام ومركزاً للعلماء العظام ومهداً للعلوم والفنون والآداب وقد زارها هذا الخليفة في سنة ١٨٠ هـ وبقي فيها بضعة ايام يتفقد شؤونها وينشط علماءها على سعيهم المتواصل ثم عاد الى بغداد فولى عليها في سنة ١٨١ هـ اسحق بن سليمان ثم انتقلت امارة هذه المدينة في عهده من اسحق بن سليمان الي سليمان بن ابي جعفر في سنة ١٨٤ هـ ثم الى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٥ هـ ثم الى الحسن بن جميل في سنة ١٨٧ هـ ثم الى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٩ هـ ثم الى جرير بن يزيد في سنة ١٩٠ هـ ثم (بعد ستة اشهر) الى عبد الصمد بن علي العباسي (ثانية) ثم الى اسحق بن عيسى بن علي في سنة ١٩٣ هـ

ولم يحدث في ايام هرون الرشيد في البصرة ما يخل بالسياسة او الادارة بل كانت زاهية بفحول العلماء الذين انتهت اليهم رياسة اكثر

العلوم العقلية والنقلية وزادت عمارتها وكثرت ثروتها وعظم شأنها وراجت فيها العلوم والآداب والفنون .

ولما توفى الخليفة هرون الرشيد في سنة ١٩٣ ﻫ وتولى ولي عهده ابنه محمد الامين أقر اسحق بن عيسى على البصرة فخرج في السنة نفسها في اطراف البصرة ردان الحروري وثار على الحكومة بجموعه فانخذل وتمزقت جموعه .

وبقيت البصرة بعد هذه الحادثة في زهو واطمئنان الى سنة ١٩٥ﻫ فارسل الخليفة محمد الامين اميراً عليها المنصور بن المهدي العباسي وفي ايامه حدثت فتنة الامين والمأمون واستولت جيوش المأمون على الاهواز والكوفة وواسط فاضطربت البصرة وعزم اهلها على تحصينها وقتال جيش المأمون اذا اقترب منها انتصاراً للامين فابى اميرهم المنصور ذلك حقناً للدماء فاعلن خلع الامين وبيعة المأمون وخطب له على منبر البصرة ، فبلغ ذلك المأمون فاقره على امارته . ولكنه وجه في سنة ١٩٦ ﻫ امارة العراق الى الحسن بن سهل وضم اليه فارس والبحرين فولى ابن سهل على البصرة العباس بن محمد الجعفري وكانت بغداد يومئذ قد حاصرها طاهر بن الحسين قائد المأمون ولم يبق للامين غيرها .

البصرة في عهد المأمون

ولما تم امر الخلافة للمأمون بعد مقتل الامين في سنة ١٩٨هـ بقيت البصرة من اعمال الحسن بن سهل وظل عليها العباس بن محمد الجعفري الى سنة ٢٠٠هـ وكان قد خرج في هذه السنة ابو السرايا الطالبي وجمع جموعاً كثيرة واستولى على الاهواز وواسط والكوفة ثم سار بجموعه الى البصرة والقى عليها الحصار فدافع عنها اميرها العباس بمن معه من الجنود الاهلية وبعد حروب شديدة انتصر ابو السرايا في السنة نفسها ودخل البصرة وبقيت هذه المدينة في قبضة الطالبيين الى سنة ٢٠٤هـ فارسل الخليفة المأمون جيشا كبيراً يقوده اخوه صالح بن هرون الرشيد لاسترداد البصرة فجرت بين الفريقين معارك عنيفة دامت نحو شهر فانجلت عن انتصار جيوش المأمون ودخول صالح البصرة ظافراً في السنة نفسها .

ومكث صالح على امارة البصرة الى سنة ٢٠٦هـ فولى المأمون عليها داود بن مسجود وضم اليه البحرين واليمامة . وفي ايام هذا الامير ظهر الزط في طريق البصرة ونهبوا بعض القرى (١) فقاتلهم داود حتى اعاد الامن الى نصابه وبقي على امارته الى سنة ٢١٥هـ

وفي ايامه في سنة ٢١٠هـ أمر الخليفة المأمون باحصاء من في البصرة

---

(١) الزط قوم من اخلاط الناس اجتمعوا على النهب والسلب والفساد .

من العلماء والتلاميذ فبلغ عدد العلماء سبعمائة وعدد تلامذتهم احد عشر الفاً فلما وقف المأمون على هذا الاحصاء سر سرورا عظيما واحب ان ينشط المحتاجين منهم فأمر بتخصيص رواتب لهم وأمر بارسال نسخ من مؤلفات اولئك العلماء فجمعوا له ماالفوه من الكتب العلمية المختلفة في مدة عشرين سنة فكانت على ماذكره بعض المؤرخين اكثر من مئتي الف مؤلف بين صغير وكبير ارسلت الى المأمون في ثلاثة سفن فلما وصلت بغداد ضمها المأمون الى مكتبته .

وتولى البصرة بعد داود محمد بن عباد المهلبي في سنة ٢١٦هـ فمات في السنة نفسها فولى المأمون بدله عجيف بن عتبة . ولما توفي المأمون في سنة ٢١٨هـ وتولى الخلافة اخوه المعتصم بالله اقر عجيفاً على امارته . فظهر الزط مرة اخرى في ايامه في سنة ٢١٩هـ وغلبوا على طريق البصرة ونهبوا بعض القرى المجاورة للبصرة واحرقوا بعضها واخذوا الغلات من البيادر بكسكر ومايليها من البصرة فامر الخليفة عجيفاً بقتالهم فخرج اليهم بجيشه فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسمائة حتى اضطر الباقون الى طلب الامان والعفو فأمنهم عجيف على شرط ان لايعودوا الى الفساد وذلك في سنة ٢٢٠ هـ .

ودامت امارة عجيف على البصرة الى ان توفى المعتصم في سنة ٢٢٧هـ وتولى الخلافة ابنه الواثق بالله فأقر عجيفاً على عمله ثم مات الواثق

في سنة ٢٣٢ ﻫ وتولى الخلافة اخوه المتوكل على الله فعزل عجيفاً وولى على البصرة عمير ابن عمار في السنة نفسها . ولم يحدث في البصرة بعد حادثة الزط مايخل بالامن .

الفتن في البصرة

بقي عمير بن عمار على امارة البصرة الى سنة ٢٣٩ ﻫ فتولى امارتها محمد بن رجا . وفي ايامه فسدت احوال البصرة واختلفت كلمة اهلها وقامت بينهم الفتن وانقسموا الى فرقتين (البلالية والسعدية) وآلت تلك الفتن الى القتال داخل المدينة ثم ثاروا على اميرهم محمد بن رجا وطردوه واخرجوا المسجونين ونهبوا بيت المال وبيوت بعض المثرين وظلت البصرة فوضى ودامت الفتن والمعارك بين اهلها الى ان قتل الخليفة المتوكل في سامرا في سنة ٢٤٧ ﻫ وتولى بعده ابنه المنتصر بالله ثم مات في سنة ٢٤٨ ﻫ وتولى الخلافة المستعين بالله ثم خلع في سنة ٢٥٢ ﻫ وبويع المعتز ومضت على خلافته سنة واحدة والفوضى ضاربة اطنابها بالبصرة وقد تولى امارتها في هذه المدة جماعة من الولاة فلم يتمكنوا من اصلاح الحال ولا استقام احد منهم شهوراً بل كان بعضهم يستقيل و بعضهم يعزل ومنهم من يطرد ومنهم من يقتل ثم سكنت تلك الفتن في سنة ٢٥٣ ﻫ .

استيلاء الزنوج على البصرة

لم يكد البصريون يستريحون من تلك الفتن التى طحنتهم وجلبت عليهم ضروب النوائب حتى ظهر في سنة ٢٥٤ هـ رجل ادعى الغيب وزعم انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن الامام علي وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ فالتف حوله منهم نحو الالفين فقوي بهم وعاث في بادية البصرة فساداً ثم قصد البصرة فاضطر البصريون الى قتاله فحدثت بين الفريقين عدة معارك حتى تمكن البصريون من صده بعد ان قتل منهم اكثر من الف رجل .

ولما انسحب صاحب الزنج عن البصرة نهب اكثر القرى واحرق بعضها وكان قد تولى الخلافة المهتدي في سنة ٢٥٥هـ وبلغته اعمال صاحب الزنج فارسل في السنة نفسها اميراً على البصرة الاحوص الباهلي وسير معه جيشاً كبيراً بقيادة جعلان التركي لقتال الزنوج فحدثت بين الطرفين حروب عديدة فاز فى آخرها صاحب الزنج واضطر القائد جعلان الى تحصين البصرة والدفاع عنها والف البصريون جيشاً منهم فكان فرقتين (السعدية والهلالية) وعلى اثر ذلك هجم الزنوج على البصرة في سنة ٢٥٦هـ في الوقت الذي تولى فيه الخلافة المعتمد على الله فجرت بين الزنوج وبين

البصريين حروب عنيفة دامت احدعشر يوماً انتهت باندحار الزنوج(١) فعادوا عن البصرة ولكنهم نهبوا قراها واحرقوا بعضها وقاتلوا سكان ابي الخصيب اربعة ايام حتى استولوا على قريتهم واحرقوا دورها ونهبوا ما فيها واعملوا السيف في اهلها ، وقد قتل في هذه الحادثة اكثر من خمسة آلاف رجل من البصريين ثم حمل الزنوج على الابلة فقاتلهم اهلها فانخذلوا واستولى الزنوج على المدينة ثم انسحبوا منها .

فلما كانت سنة ٢٥٧هـ ارسل الخليفة المعتمد على الله جيشاً كبيراً بقيادة سعيد بن صالح الحاجب لقتال الزنوج فالتقى بهم سعيد فانتصر عليهم وفتك بهم ولكنهم لموا شعثهم وهجموا عليه هجمة المستميت فانهزمت عساكره بعد ان قتل منهم عدد كبير واضطر القائد سعيد الى الهرب فقتل فاستولى الزنوج على معسكره .فبلغ ذلك الخليفة فولى في اواخر هذه السنة على البصرة منصور بن جعفر الخياط وارسله بجيش كبير فحدثت بينه وبين الزنوج معركة هائلة في محل يبعد عن البصرة ثلاث ساعات فانجلت عن انتصار الزنوج فاغرقوا سفن الخليفة واتلفوا من فيها من الجنود والاموال. ووقع القائد منصور قتيلا .

وعلى اثر اندحار جيش القائد منصور وقتله استولى الزنوج على الاهواز والابلة وعبادان وواسط وقوي امرهم واشتدت شوكتهم فاعادوا الكرة

(١) ويروى ان البصريين اندحروا فتحصنوا بالمدينة

على البصرة فاجتمع البصريون والفوا منهم جيشا بلغ عدده عشرون الف مقاتل وخرجوا للدفاع فـدامت الحرب بينهم و بين الزنوج ثمانية ايام بلياليها و كانت حرب دموية هائلة اسفرت عن انكسار البصريين فاستولى الزنوج على البصرة بعد ان قتل من البصريين عدد كبير وذلك في اواخر سنة ٢٥٧ هـ

ولما دخل الزنوج البصرة انهزم منها عـدد كثير من البصريين واختفى الناس في دورهم فنهب الزنوج المدينة واحرقوا اكثر دورها ودام النهب والسلب والقتل والتخريب والتـدمير ثلاثة ايام ثم اعلن قائدهم الامان ونادى مناديه باجتماع الناس في المسجد لاستماع الاوامر فاجتمعوا (و كانوا على ماقيل نحو مائة الف نسمة) فأمر بقتلهم وباحراق المسجد وهدمه فاعمل اصحابه السيف في البصريين فلم ينج منهم الا من فر .

وبلغ الخليفة المعتمد خبر سقوط البصرة بيـد الزنوج واستفحال امرهم فجهز جيشا كبيراً وسيره بقيادة احمد المولد (و يروى محمد) فاندحر احمد واضطر الخليفة الى تجهيز جيش آخر في سنة ٢٥٨ وارسله بقيادة مفلح فاصاب مفلح سهم فقتله فانهزم جيشه فارسل الخليفة اخاه اباحمد طلحة الملقب بالموفق بالله وسيره بجيش كثيف و كتب الى بغداد وغيرها من المدن العراقية يأمر الولاة بجمـع الجيوش وارسالها مدداً للموفق .

فسار الموفق حتى وصل نهر معقـل (بالقرب من البصرة) والتقى بالزنوج هناك فجرت بينه و بينهم حروب عنيفه اندحر في آخرها الزنوج ووقع كثير منهم في الاسر وفيهم قائدهم يحيى بن محمد البحرانى فانه وقع اسيراً في قبضة الموفق فارسله الى بغـداد ومنها ارسـل الى سامرا فامر الخليفة بقتله .

و كانت البصرة حينذ ك قد فشى فيها الطاعون وسرى منها الى واسط وغيرها فعاد الموفق الى سامرا بعد هذا الانتصار وتفرقت اكثر جنوده. فارسل الخليفة في سنة ٢٥٩هـ اسحق بن كنداج فقاتل الزنوج فدحرهم عدة مرات ولكنه لم يتمكن من الانتصار عليهم انتصاراً نهائيا فارسـل الخليفـة قائده موسى بن بغا التركي بجيش كبير فانتصر موسى على الزنوج وقتل منهم عدداً كبيراً فبلغ انتصاره البصريين فثاروا عـلي من عندهم من الزنوج فطردوهم وتلاهم اهل ابى الخصيب فثاروا على الزنوج ومنعوا ارسال الذخائر اليهم فضاق الحال بالزنوج .

ولما كانت سنة ٢٦٠ هـ استقال القائد موسى بن بغا من ولاية البصرة وقيـادة الجيش فارسل الخليفة بدله مسرور البلخي واودع اليه قتـال الزنوج فالتقى بهم وحدثت بينه و بينهم معركتين فعاد الى بغداد بسبب حدوث فتنة فيها .

دخلت سنة ٢٦١ هـ فجهز الخليفة جيشا جديداً وسيره بقيادة اخيه

الموفق (مرة ثانية) الى البصرة لقتال الزنوج وسير معه ابنه ابا العباس فسار الموفق بجيش جرار قيل كان عدده خمسين الف مقاتل حتى وصل بالقرب من البصرة فعسكر في الجهة الشرقية منها بالقرب من شط العرب وبنى هناك مدينة اتخذها مقراً للحركات الحربية فسميت الموفقية نسبة اليه . ثم جلب اليها التجار والباعة فابتنى فيها سوقا فبنى الناس المنازل وعمرت حتى صارت مدينة كبيرة وبقيت مركزاً لسوق الجيوش حتى انتهى الموفق من امر الزنوج كما سنذكره .

امـا الزنوج فانهم كانوا قد بنوا لهم مدينة كبيرة في غربى نهر ابى الخصيب وسموها المختارة وبنوا عليها سوراً وابراجاً وخندقاً وجعلوا حمايتها ثلاثة آلاف مقاتل وجمعوا فيها عدداً عظيما من النساء والاطفال الذين نهبوهم في غاراتهم على البصرة والابلة والاهواز وغيرها . واتخذوا هذه المدينة مركزاً للحركات الحربية كما اتخذ الموفق مدينته مقراً لسوق الجيوش .

انتهاء امر الزنوج

ظل الموفق يسير الجيش براً ونهراً لقتال الزنوج والخليفة يمده بالعدد والعدد فنتصر الموفق في اكثر المواقع وكانت الجيوش البرية تحت قيادته والجيوش النهرية بقيادة ابى العباس وظل النصر حليف الموفق حتى اضطرت القبائل المتفقة مع الزنج الى طلب الامان والعفو وشرعت

تلك القبائل تنحاز الواحدة تلو الاخرى الى الموفق فضعف امر الزنوج وقوي امر الموفق وكثرت جيوشه وتم له النصر في شهر جمادى الاخرة سنة ٢٧٠ هـ واحتل مدينتهم المختارة وقتل رؤساء تلك الفتنة واستولى على اموالهم ودورهم وقتل زعيمهم علي بن عبد الرحيم وارسل رأسه الى اخيه المعتمد وكان قتله بشرى عظيمة في العراق ثم جمع الموفق الاموال التي نهبها الزنوج من البلاد وكذلك النساء والاطفال فارجع الجميع الى اصحابها فارتاح الناس والبلاد من غارات الزنوج بعد ان اتعبوا الدولة خمسة عشر عاما . وكانوا مشغلة القواد والخليفة حتى خشي منهم ان يستولوا على العراق كله في الوقت الذي كانت فيه الخلافة قد ازدادت ضعفاً على ضعف واستبد القواد والولاة في الاطراف . وقد قتل في هذه الحروب عدة من القواد منهم سعيد بن صالح الحاجب ومفلح ومنصور بن جعفر الخياط وغيره وقاتلهم جماعة من القواد فلم يظفروا بهم منهم احمد المولد واحمد بن ليثويه وموسى بن بغا ومسرور البلخي واسحق بن كنداج وغيره ولم ينتصر احد من القواد عليهم انتصاراً نهائياً غير الموفق لبراعته في الاساليب الحربية وحسن سيرته وحزمه .

وكان اول ظهور صاحب الزنج هذا في احدى قرى البصرة التي هو من اهلها فادعى انه من نسل الامام علي كما تقدم وهو في الحقيقة اسمه علي بن الرحيم من ولد التيس . وزعم انه يطلع على ما في ضمائر

اصحابه وما يفعل كل واحد منهم. ثم دعي الزنوج الذين يعملون في السباخ في نواحي البصرة والكوفة واستنهضهم فترك اكثرهم مواليهم وقاموا معه فاطمعهم في اسيادهم ووعدهم انه يملكهم ما في ايديهم فاجتمع له خلق كثير منهم فعبر دجلة ونزل قرية تسمى الدينارية وزعم ان سحابة اظلته ونودي منها (اقصد البصرة تملكها) فقاتل الخلافة العباسية باسم الدولة العلوية اعواماً وفعل ما فعل من قتل ونهب كما ذكرناه قبلاً . ولقد بالغ بعض المؤرخين فقال انه قتل من البصريين مائة وخمسين الفاً عدا الاسرى من الرجال والنساء والاطفال الذين بلغ عددهم مائتي الف أمرأة وعشرين الف رجل وعشرة آلاف طفل ، وانه قتل في جميع حروبه نحو المليونين وخمسمائة الف نفس ، ونهب من الاموال ما قيمتها عشرين مليون دينار .

انحطاط البصرة وهجمات القرامطة عليها

لما انتهت فتنة الزنوج التي اتعبت الدولة العباسية اعواماً طوالاً ولى الخليفة المعتمد امارة البصرة في سنة ٢٧١هـ العباس بن تركس وأمره بتعمير ما خربته تلك الفتنة فصدع بالامر وعاد البصريون الذين انهزموا الى مدينتهم ولكن بعد الخراب كما قيل بالمثل (بعد خراب البصرة) لان هذه المدينة كانت قد خربت لتوالي الفتن والحروب وأخذت منذ حادثة

الزنوج بالتقهقر والانحطاط وقل سكانها وذهب اكثر عمرانها وزالت ثروتها وخيراتها .

ولما توفي الخليفة المعتمد ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ وتولى الخلافة المعتضد بالله ولى على البصرة احمد بن محمد بن يحيي فظهر في ايامة في سنة ٢٨٥ هـ في البحرين رجلاً يدعى ابو سعيد الجنابي وكان قد تأمر على القرامطة وجمع حوله جماعات من رعاع الناس وفتك باهل البحرين والقطيف ثم قصد البصرة في سنة ٢٨٦ هـ فكتب الى الخليفة المعتضد بالله اميرها احمد يخبره بما عزم عليه زعيم القرامطة من الهجوم على البصرة فأمره ببناء سور البصرة فبناه وانفق عليه اربعة عشر الف دينار .

وعلى اثر ذلك هجم ابو سعيد القرمطي بجموعه على البصرة في سنة ٢٨٧ هـ فجمع اميرها احمد (١) اهلها وضمهم الى عساكره التي ارسلها اليه الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل فدافع عن المدينه حتى طرد القرامطة فعادوا بالفشل ولكنهم انتصروا على جيوش الخليفة بالبحرين. ثم انتشرت القرامطة في سنة ٢٨٩ هـ (في السنة التي مات بها ببغداد الخليفة المعتضد وتولى مكانه ابنه المكتفي) في اطراف الكوفة فوجه الخليفة اليهم جيشاً فانتصر جيش الخليفة وقتل منهم عدد كبير واسر زعيمهم اباسعيد

(١) ويروى كان اميرها اذ ذاك محمد الواثقي .

وجماعة من اصحابه وجيء بهم الى بغداد فعذبهم الخليفة فمات أبو سعيد الهجري تحت العذاب وقتل قائده ابو الفوارس مع اصحابه المأسورين. وعلى اثر ذلك امر القرامطة عليهم ابا طاهر سليمان ابن ابي سعيد وحملوا على البصرة وحاصروها في السنة نفسها (٢٨٩) ودامت الحروب بينهم وبين البصريين ثمانية عشر يوماً فانتصر البصريون وعاد القرامطة بالفشل والخسران .

وتوفى الخليفة المكتفي بالله في سنة ٢٩٥هـ وتولى الخلافة بعده المقتدر بالله فولى على البصرة في سنة ٢٩٩هـ محمد بن اسحق بن كنداج وفي اوائل ايامه زحف القرامطة على البصرة بقيادة زعيمهم ابي طاهر سليمان فوصلوا البصرة على حين غفلة من اهلها في يوم الجمعة والناس في الصلاة فدخلوا المدينة وقتلوا من صادفهم من اهلها فاسرع الامير محمد وجمع الجنود فقاتلهم حتى طردهم .

الفتن في البصرة
وهجوم القرامطة ايضاً

لم تكد البصرة تستريح من هجمات الخوارج حتى قامت فتنة اهلية فيها في سنة ٣٠٥ و كانت اولا بين قائد الجيوش الحسن بن خليل

وبين امير البصرة فانحاز الاهلون الى الامير فحقد القائد فهجم عليهم وهم في المسجد يصلون فقتل عدداً كبيراً منهم فثاروا عليه وقاتلوه فحدثت فتنة كبيرة داخل المدينه . ولما وصل الخبر الى الخليفة ببغداد اكتفى بعزل القائد فعزله وارسل بدله ابا دلف هاشم بن محمد الخزاعى .

وبعد تلك الفتنة اعطى الخليفه المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان الى الوزير حامد بن العباس في سنة ٣٠٧هـ فطمع هذا الامير في اموال الناس حتى ضاق الحال بالبصريين وغلت الاسعار وتذمر الاهلون من اميرهم فاصدر الخليفة امراً بنسخ ذلك الضمان .

ثم وجهت ولاية البصرة في ٣١٠هـ الى سبك المفلحي وفي ايامه زحف على البصرة جمع كبير من القرامطة (وقيل كانوا الفاً وسبعمائة مقاتل) يقودهم زعيمهم أبو طاهر سليمان فوصلوا البصرة ليلا وكانوا قد صنعوا سلالم من الشعر ليتسلقوا بها سور البصرة فوضعوها على السور وصعدوا اليه وفتحوا باب المدينة وقتلوا حراسها فلم يشعر امير البصرة سبك المفلحي بهم الا في السحر فاسرع فركب اليهم بجيشه فقتلوه وفرقوا جيشه ثم وضعوا السيف في البصريين ودامت المعارك بين الطرفين احد عشر يوماً داخل المدينة فعل القرامطة في خلالها انواع المنكرات من نهب وسلب وقتل وتخريب ثم انسحبوا .

وعلى إثر هذه الحادثة ولى الخليفة المقتدر على البصرة محمد بن عبد

الله الفاروقي في سنة ٣١١ هـ فدخلها بعد انسحاب القرامطة منها بايام .
و كان قد قتل في هذه الحادثة من البصريين الف وخمسمائة رجل ووقع في الاسر منهم بيد القرامطة من النساء والاطفال عدد كثير قيل كان الف امرأة وستمائة طفل .

وفي ايام امارة محمد بن عبد الله الفاروقي في سنة ٣١٣هـ قطع القرامطة طريق البصرة فكتب محمد الى الخليفة يخبره بذلك فاصدر الخليفة امراً الى ولاة المدن يأمرهم بالتأهب لقتال القرامطة . فبلغ ذلك القرامطة فانسحبوا .

ولاية ابن رائق على البصرة

دخلت سنة ٣١٦ هـ فاعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان الى محمد بن رائق فسار الى عمله وقاتل القرامطة القريبين منه حتى ابعدهم ومكث على ولايته حتى مات الخليفة المقتدر في سنة ٣٢٠هـ وتولى بعده القاهر بالله ثم تولى الخلافة الراضي بالله في سنة ٣٢٢ هـ في الوقت الذي كان فيه أمر الخلافة قد ازداد ضعفاً وتسلط الاتراك ببغداد على شؤون الدولة وقلت الاموال وتغلب الولاة على اطراف المملكة واستقل بنو حمدان بالموصل وديار بكر وربيعة ومضر فاستبد ابن رائق بالبصرة وواسط واعمالهما وامتنع عن ارسال الخراج السنوي الى دار الخلافة

واستخلف على البصرة محمد ابن يزداد واقام هو بواسط ليكون قريباً من بغداد .

استيلاء البريدي على البصرة

عند ما ضاق الحال بالخليفة الراضي لقلة الاموال قلد ابن رائق امارة الامراء ببغداد في سنة ٣٢٤ هـ فاستبد ابن رائق حتى لم يبق للخليفة غير الاسم والخطبة وعلى اثر ذلك ارسل حاكم الاهواز ابو عبد الله محمد ابن البريدي غلامه اقبالاً في الفي مقاتل لاخذ البصرة من ابن يزداد فساعده البصريون ليتخلصوا من ظلم ابن يزداد الذي اساء السيرة معهم واخذ اموال مثريهم بالباطل واكثر من الضرائب حتى اضطروا الى الالتجاء بابن البريدي واستنجدوا به وبعد مناوشات انتصر اقبال ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٢٥ هـ وبعد قليل سار اليها ابن البريدي وكتب الى الخليفة يطلب منه توجيه البصرة اليه فاصدر الخليفة منشوره بذلك فدخلت البصرة في ضمان ابن البريدى فخفف عن اهلها الضرائب والمكوس ولكنه لما استتب أمره ورسخت قدماه اضطهد الاهلين وظلمهم حتى اضطروا الى رفع الشكوى الى الخليفة واخبروه بما يقاسونه من ظلم ابن البريدي . ولما كان الخليفة يومئذ ضعيفاً لا يقدر على شيء أصدر أمره بتوجيه ولاية البصرة الى القائد بجكم التركي ليأخذها بالسيف فسار بجكم بعشرة آلاف من الاتراك في سنة ٣٢٦ هـ وبعد عدة وقائع استولى بجكم

على البصرة وطرد منها ابن البريدي .

ولم تمض اشهر قليلة حتى حدث خلاف بين بجكم وبين امير الامراء ببغداد ابن رائق فسار بجكم بجيشه الى بغداد في سنة ٣٢٦ هـ فتغلب على ابن رائق فقلده الخليفة امارة الامراء . وعلى اثر ذلك وجهت امارة البصرة الى ابن البريدي (ثانية) في سنة ٣٢٧ هـ (ويروى في سنة ٣٢٨ م) وضمن رسومها وضرائبها واعشارها .

ولما مات الراضي بالله طمع ابن البريدي ببغداد فسير في سنة ٣٢٩ هـ جيشاً من البصرة لقتال بجكم فجهز له بجكم جيشاً سيره بقيادة توزون التركي فالتقى الجيشان فاندحر جيش بجكم اولاً ثم انتصر وفي اثناء ذلك مات بجكم قتيلاً بطعنة غلام كردي طعنه حينما حمل على الاكراد طمعاً في اموالهم .

وفي ايام امارة ابن البريدي على البصرة حمل يوسف بن وجيه حاكم عمان على البصرة في سنة ٣٣٢ هـ في سفن كثيرة مشحونة بالرجال فاستولى على الابلة ثم تقدم نحو البصرة فخرج ابن البريدي لقتاله ولكنه لما علم بكثرة جيوش حاكم عمان عمد الى الحيلة فتظاهر بالتقهقر خدعة فلما جن الليل هجم بجيشه فاحرق سفن يوسف وصافح جيشه بالسيف فقتل اكثرهم ونهب اموالهم وذخائرهم فانهزم يوسف بالفشل والخسران . وفي السنة نفسها (٣٣٢) هـ زحف معز الدولة ابن بوية

بمسا كره الى البصرة فحدثت بينه و بين ابن البريدي عدة وقائع انحدر في آخرها ابن البريدي وتحصن بالمدينة فحاصره معز الدولة اكثر من شهر ثم ترك الحصار وعاد الى مقره .

وبقي ابن البريدي مستقلاً بامارة البصرة الى ان توفى فيها في سنة ٣٣٤ هفتولى مكانه ابنه ابو القاسم ابن ابى عبد الله محمد بن البريدي فارسل اليه الخليفة منشور الامارة على جرى العادة في ذلك العهد .

استيلاء معز الدولة البويهي على البصرة

او

البصرة في عهد بني بوية

لما استولى معز الدولة احمد ابن ابى شجاع بويه على بغداد واسس الدولة البويهية فيها في سنة ٣٣٤ هـ استأمن اليه ابو القاسم ابن البريدي وضمن له واسط والبصرة واعمالهما وعقد له في السنة نفسها ثم حدث بينهما خلاف في سنة ٣٣٥ هـ فامتنع ابو القاسم عن تسليم المال المقرر ارساله الى بغداد فجهز معز الدولة جيشاً لطرده من البصرة فالتقى جيشه بجيش ابن البريدي في واسط فاستمرت الحرب بين الطرفين خمسة ايام فاندحر جيش ابن البريدي وقتل في هذه الحرب من وجهاء البصرة وأعيانها الذين كانوا انصاراً لابن البريدى سبعون رجلا .

فلما بلغ ابن البريدي خبر هزيمة جيشه جهز جيشاً جديداً فعلم بذلك معز الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه واخذ معه الخليفة المطيع لله وتوجه نحو البصرة في سنة ٣٣٦ ﻫ فلما اقترب معز الدولة الى محل يسمى الدرهمية وسمع جيش ابن البريدي بقدوم الخليفة معه استعظموا ذلك فاستأمنوا الى معز الدولة وانحازوا اليه فخاف ابن البريدي فانهزم الى هجر ملتجئاً بالقرامطة فدخل معز الدولة والخليفة البصرة باحتفال عظيم . وبعد ان نظم معز الدولة شؤون البصرة ولى عليها وزيره ابا محمد الحسن بن محمد المهلبي وذلك في سنة ٣٣٧ ﻫ وعاد الى بغداد ومعه الخليفة المطيع .

وفي ايام امارة الوزير ابن المهلبي على البصرة ثار امير البطيحة عمران بن شاهين على معز الدولة فقطع طريق البصرة في سنة ٣٣٨ ﻫ فقاتله ابن المهلبي ولكنه لم يظفر به . وحمل في سنة ٣٤١ ﻫ على البصرة (ثانية) حاكم عمان يوسف بن وجيه وكان القرامطة قد ثاروا يومئذ على معز الدولة فكتب اليهم يوسف يطمعهم في البصرة وطلب منهم ان ينجدوه بجيش بري فامدوه فحاصر البصرة نهراً وبراً ودام الحصار نحو شهر فقاتله ابن المهلبي حتى جائته النجدات من معز الدولة من بغداد فانتصر على يوسف انتصاراً نهائيا واغرق سفنه ونهب امواله وذخائره فانهزم يوسف بالخذلان والخسران .

امارة حبشي على البصرة وعصيانه

دخلت سنة ٣٤٧ هـ فوجهت امارة البصرة الى حبشي بن معز الدوله فاستقام امره فيها حتى مات ابوه معز الدولة ببغداد في سنة ٣٥٦هـ وتولى بعده ابنه بختيار الملقب عز الدولة فحدثت بين الاخوين وحشة في سنة ٣٥٧ هـ فعصى حبشي بالبصرة وخرج على اخيه فارسل عز الدولة في السنة نفسها جيشاً بقيادة ابي الفضل العباس بن الحسين لقتال حبشي وطرده من البصرة وبعد حروب دامت اياما انتصر ابو الفضل فدخل البصرة منصوراً واسر حبشي وارسله مخفورا الى بغداد فحبس بها وصادر امواله .

ومكث ابو الفضل اميراً على البصرة اشهراً ثم ولى عليها عز الدولة ابنه المرزبان

امارة المرزبان وعصيانه

تولى المرزبان امارة البصرة بعد ابي الفضل فحدثت في ايامه فتنة بين الديلم والاتراك في الاهواز ادت الى حروب دموية بين الطرفين فبلغ ذلك من في البصرة من الديلم فثاروا على الاتراك الذين فيها ونادوا باباحة دمائهم فقتل من الاتراك عدد كثير وذلك في سنة ٣٦٣هـ

وعلى اثر ذلك سار عز الدولة من الاهواز الى البصرة وكان قد

ذهب الى الاهواز لامور ادارية فثار عليه ببغداد القائد سبكتكين التركي على اثر نكبة الاتراك في الاهواز والبصرة وتغلب سبكتكين على حكومة بغداد وطلب من الخليفة الطايع ان يخلع نفسه ويسلم الخلافة الى ابنه عبد الكريم لانه كان قد اصيب بالفالج وثقل لسانه فخلع نفسه وبايع لابنه ولقبه الطايع لله في سنة ٣٦٣هـ

وبعد ان قام عز الدولة بالبصرة اياماً سار الى واسط ثم توجه الى بغداد فحدثت بينه وبين سبكتكين فتنة اخرى فانسحب الى واسط واستنجد بأبن عمه عضد الدولة صاحب بلاد فارس وحدث ماحدث في بغداد حتى اغتصب عضد الدولة بغداد وحبس عز الدولة .

فبلغ امير البصرة المزربان ابن عز الدولة خبر اعتقال ابيه وماجرى له مع عضد الدولة فثار في البصرة في سنة ٣٦٤هـ وهو يومئذ اميرها من قبل ابيه فكاتب امراء البلاد واستنجد بهم على نصر ابيه وكتب الى ركن الدولة يشكو اليه اعمال ابنه عضد الدولة ويخبره بما فعل بابيه وبعد حوادث يطول شرحها اخرج عضد الدولة عز الدولة من السجن وارجعه الى منصبه وعاد الى مقره في السنة نفسها .



٩٠

عضد الدولة

وشرف الدولة والبصرة

ولما مات ركن الدولة وتولى ملكه ابنه عضد الدولة في سنة ٣٦٦ ﻫ حدثت بينه وبين عز الدولة صاحب العراق وحشة فخلاف فحرب فاستولى عضد الدولة على البصرة اولاً في سنة ٣٦٦ ﻫ فاقام بها اياماً ثم ولى عليها ابنه ابا طاهر وسار منها فاستولى على واسط ثم انتهت تلك الفتنة باستيلاء عضد الدولة على العراق كله فدخل بغداد في سنة ٣٦٧ ﻫ في عهد الخليفة الطايع لله . وبقي عضد الدولة ملكاً على العراق الى سنة ٣٧٣ ﻫ فتوفى ببغداد وتولى بعده ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار . وفي السنة نفسها طمع في العراق اخوه شرف الدولة ابو الفوارس ابن عضـد الدولة فحمل على اخيه صمصام الدولة بخمسة عشر الف مقاتل من الديلم وسار من الاهواز قاصداً البصرة وعليها يومئذ اميراً ابو طاهر بن عضد الدولة فاستولى عليها شرف الدولة عنوة واقطعها الى اخيه ابي الحسن بن عضد الدولة وذلك في سنة ٣٧٣ ﻫ . فبلغ صمصام الدولة خبر استيلاء شرف الدولة على البصرة فجهز لقتاله جيشاً وسيره بقيادة الامير دبيس فعلم بذلك شرف الدولة فسير جيشاً لقتاله بقيادة الامير دبيس الاسدى فالتقى الجيشان فدارت الدائرة على جيش صمصام الدولة واسر قائده . ثم اصطلح

الاخوان على ان تكون البصرة لشرف الدولة وعلى اثر ذلك ولى شرف الدولة على البصرة اخاه ابا طاهر ابن عضد الدولة فاستبد بها ثم عصى واستقل في سنة ٣٧٥ هـ فجهز له شرف الدولة جيشاً وسار به فانتصر عليه واسره ودخل البصرة ظافراً .

وكانت الفتن مستمرة بين بني بويه فعادت الحرب في سنة ٣٧٦هـ بين صمصام الدولة وبين شرف الدولة فاستولى الثاني على واسط اولاً ثم على بغداد في سنة ٣٧٧ هـ ودخلت جميع البلاد العراقية تحت حكمه حتى مات في سنة ٣٧٩ هـ وكان من الملوك المصلحين كعضد الدولة . فولي بعده اخوه ابو نصر بهاء الدولة وهو الذي خلع الخليفة الطايع طمعاً في امواله التي صادرها وولى الخلافة ابا العباس احمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر ولقبه القادر بالله في سنة ٣٨١ هـ .

البصرة في ايام بهاء الدولة

تولى بهاء الدولة الملك في العراق في سنة ٣٧٩ هـ فاقام ببغداد وولى على البصرة نواباً .

وفي ايامه في سنة ٣٨٦ هـ زحف على البصرة لشكرستان احد قواد صمصام الدولة البويهي فقاتله نواب بهاء الدولة فانتصر عليهم بمعاضدة جماعة من البصريين منهم ابو الحسن ابن ابي جعفر العلوي ودخل البصرة

ظافراً في السنة نفسها . ولما استتب أمره فيها طامع في اموال الناس فابتز اموال المثرين وفتك بجماعة كبيرة من الوجوه والاعيـان حتى اضطرت جماعة منهم الى ترك اوطانهم. ولبث لشكرستان بالبصرة اكثر من شهر فحمل عليه امير البطيحة مهذب الدولة ابو الحسن علي ابن نصر بابماز من بهاء الدولة وكان تحت سيادته ، فلما اقترب مهـذب الدولة من البصرة فر منها لشكرستان خوفاً من ان يقع في الاسر ودخلهـا مهذب الدوله ظافراً فولى عليها نائباً من قبـله وظلت في قبضته الى سنة ٣٩١ هـ .

دخلت سنة ٣٩١ هـ فجمع القائد لشكرستان جيشـاً كبيراً فاعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة واعاد الظلم والسلب وصادر املاك اكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من اهلها الى بلاد اخرى تخلصاً من ظلمه . فبقيت هذه المدينة تحت حكمه القاسي الى سنة ٣٩٥ هـ

وفي السنة نفسها (٣٩٥) جهز امير البطيحة مهذب الدولة جيشا كثيفاً وصيره بقيادة احد قواده ابي العباس ابن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معـارك دامت اكثر من شهرين انهزم لشكرستان بمن معه فاستولى ابو العباس على البصرة في السنـة نفسها . وقد قتل في هذه الحادثة نحو الخمسة آلاف من الفريقين . وغرقت نحو ثلثمائة سفينة .

استبداد ابى العباس في البصرة

كان ابو العباس ابن واصل من قواد مهذب الدولة امير البطيحة وكان من المخلصين له فلما انتصر على لشكرستان وطرده من البصرة واستتب أمره فيها طمع بالملك فخلع طاعة مهذب الدولة واستبد بالامور فسير مهذب الدولة جيشاً لطرده ففشل جيشه فجهز له جيشاً ثانيا بقيادة ابى سعيد بن ما كولا ففشل ايضا . وقوي أمر ابى العباس فخرج من البصرة بجيشه قاصداً البطيحة وبعد حروب استولى على اكثرها فاضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد الى البصرة .

وكان بهاء الدولة في تلك الاثناء مقيماً في الاهواز فلما بلغته قوة ابى العباس واستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فاحضر عنده عميد الجيوش (او عميد العراق) ابا علي ابن جعفر المعروف باستاذ هرمز وكان نائبه ببغداد فجهز له جيشا كبيراً وسيره لقتال ابى العباس ففشل ابو علي ثم جهز بهاء الدولة جيشاً آخر فاستمرت الحروب بين جيوش بهاء الدولة وبين ابى العباس مدة حتى اضطر بهاء الدولة الى المسير بنفسه فسار بخمسة عشر الف مقاتل فاندحر جيشه وعاد بالفشل وذلك في سنة ٣٩٦هـ. فطمع ابو العباس ببهاء الدولة فحمل عليه بجيشه وهو يومئذ بالاهواز فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالفشل وعلى اثر تلك الهزيمة زحف بهاء

الدولة بجيش كبير على البصرة فحاصرها اربعة ايام فانتصر على ابي العباس فقتله ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٩٧هـ واقام بها اياماً ثم ولى عليها الوزير ابا غالب وعاد هو الى الاهواز .

البصرة في عهد سلطان الدولة وجلال الدولة

هدأت الاحوال بالبصرة بعد فتنة ابي العباس حتى مات بهاء الدولة في سنة ٤٠٣هـ وتولى ابنه ابو شجـاع الملقب سلطان الدوله فولى على البصرة اخاه ابا طاهر الملقب جلال الدولة .

ولما تغلب مشرف الدولة على اخيه سلطان الدولة في سنة ٤١١هـ واخذ العراق منه اقر على البصرة اخاه ابا طاهر فمكث على امارة البصرة الى ان مات مشرف الدولة ببغداد في سنة ٤١٦هـ فبويع بالملك ابو طاهر جلال الدولة ابن بهاء الدولة ولما كان قد استوطن البصرة ايام امارتـه عليها اراد ان يتخذها مقراً للسلطنة فطلب جيش بغداد قدومــه اليهم فامتنع فخرج جيش بغداد عن طاعته فاضطر الى المسير اليهم واستخلف على البصرة ابنه ابو منصور الملك العزيز. وفي ايام امارة ابي منصور حدثت فتن عظيمــة بين الديلم والاتراك في البصرة فانتصر الاتراك فاخرجوا الديلم منها فهجم الديلم على البصرة ونهبوا بعض القرى فخرج لقتالهم ابو

منصور فطردهم وذلك في سنة ٤١٩هـ وعلى اثر ذلك ارسل ابو كاليجار ابن سلطان الدولة المستقل بفارس جيشاً بقيادة احد زعماء الديلم بختيار بن علي لاخذ البصرة و بعد حروب استولى عليها عنوة وانهزم ابو منصور فنهب الديلم اسواق المدينة وصادروا اموال تجارها ودام النهب سبعة ايام وقتل في هذه الحادثة من البصريين عدد غير قليل. فدخلت سنة ٤٢٠هـ فولى ابو كاليجار على البصرة ابا منصور بن بختيار القائد ابن علي.

وبلغ الخبر جلال الدولة فجهز جيشا كبيراً وسيره بقيادة وزيره ابى علي ابن ما كولا في سنة ٤٢١هـ فسار ابو علي في ار بعمائة سفينة مشحونة بالرجال ومعه عبد الله الشرابى فخرج لقتاله امير البصرة ابو منصور ابن بختيار وبعد حروب انكسر جيشه وانهزم هو وجيشه وتحصنوا بأبي الخصيب وشرعوا بالدفاع عن انفسهم فتبعه ابو علي فدارت معركة عنيفة دامت اربع ساعات فانجلت عن انحدار جيش جلال الدولة ووقوع قائده ابي علي اسيراً.

ولما اتصل خبر الهزيمة بجلال الدولة جهز جيشا ثانياً فانتصر جيشه ودخل البصرة ظافراً في السنة نفسها (٤٢١) وعلى اثر ذلك جمع القائد بختيار جيشا جديداً فحمل به على البصرة فدحرته جنود جلال الدولة واسروه فقتلوه وبعد ايام حدث خلاف بين جنود جلال الدولة فتفرقوا فهجمت جيوش ابى كاليجار على البصرة فدخلتها في سنة ٤٢٢هـ فولى

ابو كاليجار على البصرة ظهير الدين ابن ابى القاسم فسكن الحال في البصرة حتى اذا ما كانت سنة ٤٢٤هـ حدث خلاف بين امير البصرة ظهير الدين وبين سيده ابى كاليجار فاغتنم تلك الفرصة جـلال الدولة فسير جيشاً بقيادة ابنه الملك العزيز فلما اقترب جيش جلال الدولة من البصرة انحاز اميرها الى جلال الدولة وسلم المدينة الى ابنه الملك العزيز على شرط ان يكون له كمساعد او مشاور في تدبير شؤون البصرة .

ولم تمض اشهر على امارة الملك العزيز على البصرة حتى قامت بينه وبين ظهير الدين فتنة ادت الى حدوث قتال بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيز من البصرة فانحاز ظهير الدين الى ابى كاليجار واعتذر اليه فأقره على عمـله على ان يدفع اليه في كل سنة سبعين الف دينار ، فدخلت البصرة في ضمان ظهير الدين .

بقى ظهير الدين ابن ابى القاسم مستقلا بالبصرة استقلالاً اداريا الى سنة ٤٣٠ هـ فامتنع عن ارسال المال المقرر ارساله الى ابى كاليجار وصار تارة يحتمي بجلال الدولة واخرى يميل الى ابى كاليجار حتى اضطر ابو كاليجار الى ارسال جيش لقتاله فسير جيشاً بقيادة العادل ابى منصور ابن مافنه في سنة ٤٣١ هـ وبعد معر كتين حوصرت البصرة حصـاراً شديداً حتى عجز ظهير الدين عن الدفاع وقتل من جيشه نحو الاربعة آلاف فاضطر الى الهرب فوقع اسيراً وصودرت امواله المنقولة والثابتة

فاستولى جيش ابي كاليجار على البصرة عنوة ودخلها ظافراً وبعد ايام قليلة سار اليها ابو كاليجار فاقام بها اياماً ثم اعطاها بالضمان الى ابنه عز الملوك على ان يدفع اليه في كل سنة مائة الف دينار وجعل له مساعداً وزيره ابا الفرج بن فسانجس وعاد هو الى الاهواز .

بقيت البصرة في قبضة عز الملوك ابن ابي كاليجار صاحب فارس والاهواز الى ان تغلب ابو كاليجار المذكور على الملك العزيز ابي منصور بن جلال الدولة واخذ العراق منه في سنة ٤٣٥ هـ ثم دخل بغداد سنة ٤٣٦ هـ فلقبه الخليفة بمحي الدين فتم أمره في فارس والاهواز والعراق

ومات ابو كاليجار ببغداد في سنة ٤٤٠ هـ فتولى العراق ابنه ابو نصر الملك الرحيم فعصى عليه اخوه عز الملوك واستبد بالبصرة في الوقت الذي كانت فيه احوال الدولة مضطربة جداً وكان البصريون يومئذ قد كرهوا اميرهم لسوء سيرته معهم فتمنوا الخلاص منه على يد الملك الرحيم . فحمل الملك الرحيم على اخيه فالتقى الجيشان في السفن في دجلة في سنة ٤٤٥ هـ فاندحر عز الملوك وعاد الى البصرة فتحصن فيها فتبعه اخوه فلما اقترب منه ثار البصريون على اميرهم فطردوه وسلموا المدينة الى الملك الرحيم واستقبلوه بالترحاب والسرور وذلك في سنة ٤٤٦ هـ فاقام الملك بالبصرة اياماً ثم ولى عليها ابا الحرث ارسلان بن عبدالله البساسيري

التركي وعاد هو الى بغداد .

وكانت الدولة السلجوقية يوم ذاك قد قويت وفتح رجالها بلاداً كثيرة محاددة لشرقي العراق في الوقت الذي كانت دولة بني بويه قد ازدادت ضعفاً على ضعف وانحل أمرها وسئم الناس حكمها واصبحت عاجزة عن كل شيء . وكانت النتيجة ان طمع طغرل بك السلجوقي في العراق فحمل على بغداد فاستولى عليها في سنة ٤٤٧ هـ واسر الملك الرحيم فانقرضت الدولة البويهية من العراق بعد ان ملكته مائة وثلاثة عشر سنة . وقامت على انقاضها دولة بني سلجوق الاتراك .

البصرة في عهد السلجوقيين

فتح طغرل بك السلجوقي بغداد في سنة ٤٤٧ هـ كما ذكرنا فدانت له المدن العراقية في عهد الخليفة القائم بامر الله فوجه الولاة الى البلاد وولى في السنة نفسها على البصرة هزار أسب ابن تكير ابن عياض على ان يدفع له في كل سنة ثلثمائة وستين الف دينا (دينار ذلك العهد) فدخلت البصرة في ضمان هذا الامير التركي وهو اول وال سلجوقي عليها . وفي ايامه ثارت القبائل النازلة بين البصرة وواسط على الحكومة الجديدة فاخضعهم هذا الامير بالسيف .

وبقي هزار أسب على البصرة وتوابعها الى سنة ٤٥١ هـ فوجهت

ولاية البصرة بالضمان الى الاغرسابور بن المظفر . وتوفي طغرل بك سنة ٤٥٥ هـ فتولى الملك ابن أخيه ألب ارسلان بن داود ثم تولى الملك بعده ابنه ملكشاه في سنة ٤٦٥ هـ فاعطيت البصرة بالضمان الى علان اليهودي في سنة ٤٦٩ هـ لما لعلان من المنزلة الرفيعة عند الوزير نظام الملك الذي كان قابضاً على زمام المملكة بيد من حديد فجبى علان الاعشار والرسوم والضرائب من البصرة و عمالها نحو ثلاث سنوات فمات في اواخر سنة ٤٧١ هـ بالبصرة . ومما يدل على علو منزلته في الدولة يوم ذاك ان السلطان ملكشاه لما بلغه موته حزن عليه وانقطع عن الركب ثلاثة ايام . ولما ماتت أم علان قبله باشهر مشى خلف جنازتها جميع البصريين الا القاضي فبلغ ذلك الوزير نظام الملك فعد عمل القاضى اهانة للحكومة فاغرمه الف دينار وهى غرامة غريبة في بابها .

وعلى اثر موت علان اليهودي اعطيت البصرة بالضمان الى خمارتكين التركي في اوائل سنة ٤٧٢ هـ على ان يدفع الى خزينة الدولة السلجوقية في كل عام مائه الف دينار ومائة حصان .

وفي ايام ملكشاه توفى الخليفة القائم بامر الله ببغداد في سنة ٤٦٧ هـ فبويع بالخلافة للمقتدي بالله .



عزو الاعراب البصرة
واستيلائهم عليها

كانت البصرة قد اعطيت بالضمان الى العميد بن عصمة في سنة ٤٧٥ هـ بعد نسخ ضمان خمارتكين فلما قامت الحروب بين السلجوقيين وضعفت الدولة طمع الاعراب بالبصرة فغزاها بنو عامر النازلين في الاحساء فحملوا عليها بعشرة آلاف فارس فاحاطوا بها في سنة ٤٨٣ هـ في عهد السلطان ملكشاه فخرج اميرها العميد فقاتلهم فلما لم يكن عنده جيش يكفي لصدهم انسحب الى نهر معقل فبلغ البصريين انسحابه فخافوا على انفسهم من القتل فتركوا اوطانهم وفروا الى بلاد اخرى فدخلت بنو عامر البصرة فنهبوا وخربوا واحرقوا عدة مواضع من جملتها مخزن الكتب التي اوقفها الوزير ابو منصور بن شاه مردان و كان فيه على مايروى عشرات الالوف من الكتب الثمينة. وخزانة الكتب التي اوقفها ابو الفرج بن ابي البقاء و كان فيها على ماقيل خمسون الف كتاب. وخربوا اوقاف البصرة. وظلوا ينهبون المدينة نهاراً ثم يخرجون منها ليلاً فينهبها اصحاب ابن العميد ليلاً : وبقي هذا الحال المريع اياماً.

ولما بلغ خبر هذه الغارة الى بغداد وجهت الحكومة سيف الدولة الى طرد الاعراب من البصرة بأمر من السلطان ملكشاه فسار

سيف الدولة بجيش كبير فوجدهم قد خرجوا منها وفروا الى جزيرة العرب . فمات السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥ هـ فقامت الحروب بين الاسرة المالكة حتى تم الامر في السنة نفسها الى السلطان بر كيارق فوجهت امارة البصرة في سنة ٤٩٣ هـ الى الامير قمباج . وفي ايام بر كيارق توفى الخليفة المقتدي بالله ببغداد فجأةً في سنة ٤٨٧هـ فبويع بالخلافة لابنه المستظهر بالله . و كانت ايام بر كيارق كلها فتن وحروب .

استبداد اسماعيل بن سلانجق بالبصرة وعصيانه فيها

بقي الامير قمباج التركي على البصرة اشهراً ثم استخلف عليها نائباً اسماعيل بن سلانجق التركي فاستقام امره فيها سنتين ثم طمع بالملك فعصي واستقل في الوقت الذي كانت فيه الاضطرابات الداخلية متوالية في المملكة وقد استبد اكثر العمال . فاوعزت الحكومة الى مهذب الدولة ابن ابي الخير صاحب البطيحة بقتال اسماعيل وطرده من البصرة فسار مهذب الدولة ومعه معقل بن صدقة بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية يقود كل منهما جيشه فالتقوا باسماعيل فقتل معقل فانفل جيشه فاضطر مهذب الدولة الى الرجوع وذلك في سنة ٤٩٤ هـ

وقوي امر اسماعيل و كثرت جموعه واتسعت امارته وازداد قوة

بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلاجقة فخفف الضرائب والرسوم عن اهل البصرة ليجلب قلوبهم اليه ثم راسل سيف الدولة واظهر له انه في طاعته. ثم حاول اخذ واسط ففشل. وفي ايامه حمل في سنة ٤٩٥هـ على البصرة ابو سعيد بن مضر صاحب عمان فوصلت جيوشه شط العرب فقطعوا الطريق وقتلوا ونهبوا ثم جرت مراسلات في الصلح بين ابي سعيد و بين اسماعيل فلم يتم الصلح فحمل ابو سعيد على اسماعيل فاقتتل الجيشان فانكسرت عساكر اسماعيل فاضطر الى طلب الصلح فتوسط بينهما وكيل الخليفة فتم الصلح على يده .

فلما استقر الامر للسلطان محمد السلجوقي اراد ان يرسل الى البصرة مقطعاً يأخذها من اسماعيل فخاطب في ذلك سيف الدوله صاحب الحلة حتى اقرت البصرة على سيف الدولة فوجه السلطان عميداً اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان (١) هناك فمنعه اسماعيل ولم يمكنه من عمله. فبلغ السلطان محمد ذلك و كان قد تولى السلطنة بعد موت اخيه بركيارق في سنة ٤٩٨هـ فأمر سيف الدولة بطرد اسماعيل من البصرة

(١) وكانت الحكومة السلجوقية ترسل الى كل بلد عميد يتولى مايتعلق بالسلطان كما كان الخليفة يرسل وكيلا عنه ليقوم بما يتعلق بديوانه في تلك البلد . فكانت المدن اذا اعطيت بالضمان يرسل السلطان عميداً ويرسل الخليفة وكيلا اونائباً .



امارة سيف الدولة
على البصرة

تهيأ سيف الدولة لقتال اسماعيل ولكنه اشتغل بقتال منكبرس الذي خرج على السلطان وقصد واسطاً . فاخر مسيره الى البصرة ولكنه ارسل الى اسماعيل عاملاً من قبله فقبض عليه اسماعيل واعتقله فوصل الخبر الى سيف الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه وقصد البصرة في سنة ٤٩٩ هـ

ولما بلغ اسماعيل قدوم سيف الدولة بالجيوش استعد للحرب وحصن المدينة وقلاعها واعتقل الوجوه من العباسيين والعلويين وغيرهم من الاعيان فحاصر سيف الدولة المدينة براً ونهراً و كان جيشه عشرين الف مقاتل على مانقل فخرج لقتاله اسماعيل ففشل فتحصن بالمدينة واخذ بالدفاع فدام الحصار اشهراً ثم هجمت جنود سيف الدولة هجمة نهائية فدخلت المدينة في سنة ٥٠٠ هـ وانتهت هذه الحادثة بانتصار سيف الدولة ودخوله ظافراً . فانهزم اسماعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها ثم طلب الامان فامنه سيف الدولة فسار الى فارس .

ومما يؤسف عليه ان جيش سيف الدولة حينما دخل البصرة فاتحاً نهب بعض المحلات . وعلى مانقله بعضهم انهم استمروا على النهب ثلاثة

ايام ثم نودي بالامان .

ومكث سيف الدولة في البصرة اياماً نظم فيها شؤون المدينة ثم استناب عنه مملوكا كان لجده دبيس اسمه التونتاش (ويروى نونتاش والنوشاش) وجعل معه مأة وعشرين فارساً وسار هو الى مقره الحلة .

مضت ثلاثة اشهر على نيابة انتونتاش على البصرة فاجتمعت ربيعة وانضم اليها المنتفكيون ثم قبائل اخرى من الاعراب واتفقوا على غزو البصرة و كانوا على ما يروى خمسة آلاف مقاتل فهجموا على البصرة فقاتلهم الثونتاش فانهزم لقلة جيشه فاسروه ودخلوا البصرة عنوة في سنة ٥٠٠ هـ . فقتلوا ونهبوا اكثر الاسواق والدور واحرقوا بعضها وخربوا كثيراً من الدور حتى قال بعضهم : خرب في هذه الحادثة نحو السنة الاف دار وعشرة آلاف دكان منها حرقا ومنها هدماً ، ودام النهب والسلب شهراً ثم خرجوا بعد ان انهزم اكثر البصريين من اوطانهم وتفرقوا في البلاد .

وبلغ سيف الدولة خبر غارة الاعراب على البصرة وأسر نائبه فارسل جيشاً لطردهم فوصل جيشه وقد خرج القوم من المدينة وفارقوها .



امارة الامير اقسنقر

البخاري على البصرة

عند ما اتصل بالسلطان محمد السلجوقي خبر هجوم الاعراب على البصرة وما فعلوه فيها من الافعال المنكرة من نهب وقتل وتخريب انتزع امارتها من سيف الدولة في سنة ٥٠٢هـ وولى عليها الامير آقسنقر البخاري وجعله شحنة وعميداً (١) فاستقام أمره فيها فعاد كثير من البصريين الى اوطانهم فاقام هذا الامير الى سنة ٥٠٥هـ ثم استخلف عليها سنقر البياني وسار هو الى فارس. فاحسن سنقر السياسة والتدبير وسار سيرة مرضية في الاهلين فبقيت البصرة تحت حكمه بالنيابة عن الامير آقسنقر حتى مات السلطان محمد ببغداد في سنة ٥١١هـ وجلس مكانه ابنه السلطان محمود فاقره على عمله وفي ايامه مات الخليفة المستظهر بالله في سنه ٥١١ هـ فبويع بالخلافة لابنه المسترشد بالله .

---

(١) الشحنة هو الذي يتولى جباية الاموال كالضرائب والاعشار وغير ذلك ، والعميد هو الذى يتولى ما يتعلق بالسلطان من الامور السياسية والادارية والاحكام ، وكان السلطان نسخ الضمان وسلم شؤون البصرة كلها الى هذا الامير ،



استيلاء ابن سكبان على البصرة

بقي سنقر البياني حاكما على البصرة بالنيابة عن الامير آقسنقر البخاري الى سنة ٥١٣ هـ فثار احد امراء الجيش اسمه غزغلي وهجم على الحجاج و كان امير الحج يومئذ على بن سكبان فقاتل الثائر حتى قتله فانهزم اصحابه الى البصرة فلحقهم ابن سكبان حتى دخل المدينة في اثرهم فوجد فتنة جديدة قامت بين الحاكم و بين رؤساء الجيش فاغتنم فرصة تلك الفتنة فتغلب على الولاية في السنة نفسها (٥١٣) هـ .

ولما استتب امر علي ابن سكبان بالبصرة كتب الى الامير آقسنقر البخاري يعرض له الطاعة ويطلب منه توجيه النيابة اليه ، فلم يجبه الامير الى ما طلب فاستبد ابن سكبان بالامر ولكنه سار سيرة حسنة في البصريين وجاملهم ووالاهم و بقي مستقلاً فيها الى سنة ٥١٤ هـ

دخلت سنة ٥١٤ هـ فسير السلطان محمود جيشاً كبيراً بقيادة الامير آقسنقر البخاري لطرد على بن سكبان من البصرة فالتقى الاميران وتقاتل الجيشان و بعد حروب استولى الامير آقسنقر على البصرة عنوة في سنة ٥١٥ هـ ودخلها ظافراً وانهزم ابن سكبان فاستقام امر الامير في هذه المدينة مدة حتى اذا ما كانت سنة ٥١٧ هـ ثار صاحب الحلة دبيس بن سيف الدولة وخرج على السلطان والخليفة معاً فحاربته حكومة بغداد

حتى تمزق جمعه فالتجأ بقبائل المنتفك فاغراهم على غزو البصرة واخذها فوافقوه وساروا معه حتى هجموا عليها ودخلوها فنهبوا اسواقها وقتلوا رئيس جيشها فبلغ الخبر حكومة بغداد فسيرت لقتاله جيشاً بقيادة البرسقي فانهزم دبيس ومن معه ودخلوا البادية فدخل البرسقي البصرة بدون قتال فتولى شؤونها ، فبقيت البصرة تحت حكم السلاطين السلاجقة يحكمها امراؤهم الى سنة ٥٤٧ ﻫ ثم عادت الى الخلفاء وسيأتي ذكر ذلك .

رجوع البصرة الى الخلافة العباسية

كانت البصرة قد خرجت من سلطة الخلفاء منذ تسلط على الخلافة بنو بويه وأسس معز الدولة البويهي دولته في العراق في سنة ٣٣٤ ﻫ في عهد الخليفة المستكفي بالله وظلت كذلك حتى انقرضت الدولة البويهية وقامت على انقاضها الدولة السلجوقية في سنة ٤٤٧ ﻫ في عهد الخليفة القائم بامر الله وتوالى حكم سلاطين السلاجقة على العراق وليس للخلفاء غير الخطبة والتوقيع على المناشير حتى مات السلطان محمود السلجوقي في سنة ٥٢٥ ﻫ وجلس ابنه السلطان داود فثار عليه عمه السلطان

مسعود فاستمرت بينهما الحروب الى ان تغلب على الامر السلطان مسعود في سنة ٥٢٦ ﻫ فاغتنم الخليفة المسترشد بالله فرصة تلك الحروب فارجع اكثر حقوق الخلافة المغصوبة والف له جيشاً في بغداد واصبح مطاعاً نافذ الكلمة في اكثر شؤون البلاد العراقية وقاتل الخارجين عليه حتى خافه السلاجقة انفسهم . وظل يجتهد في ارجاع جميع حقوق الخلافة مغتنماً فرصة ضعف الدولة السلجوقية وبعد رجالها عنه وانشغالهم في الحروب التي دامت بينهم اعواماً طوالاً . ولكنه اغتر بقوته فحارب السلطان مسعود وحمل عليه الى همذان وبعد حروب انحاز اكثر قواده الاتراك الى السلطان وغدروا به فانخذل ووقع أسيراً في قبضة السلطان مسعود فخدعه بعقد اتفاقية فاوعز الى الاتراك بقتله فقتلوه غدراً في اواخر سنة ٥٢٩ ﻫ بظاهر مراغة وعادت سلطة السلاجقة على العراق .

فتولى الخلافة بعد المسترشد ابنه الراشد بالله ثم خلع في سنة ٥٣٠ ﻫ فتولاها المقتفي لامر الله فسعى في اعادة حقوقه حتى اذا ماتوفي السلطان مسعود في سنة ٥٤٧ﻫ و كثرت الفتن والحروب بين آل سلجوق تفرد الخليفة المقتفي بالحكم في العراق وزال نفوذ السلاجقة واصبح الامر كله للخليفة لايشاركه فيه احد وعادت البصرة الى الخلفاء يولون عليها من شاؤا .وهو الذي ولى على البصرة في سنة ٥٥٤ﻫ كمشتكين التركي وعزل عنها الشيخ معروف رئيس المنتفق الذي تولى امارتها منذ سنة ٥٣٢ ﻫ

وتوفى الخليفة المقتفي في سنة ٥٥٥هـ فبويع لابنه المستنجد بالله فأقر على البصرة كمشتكين . وسار هذا الخليفة سيرة ابيه في الحزم والعزم وضبط الامور وفي ايامه استولى على ابن شنكا على البصرة .

استيلاء ابن شنكا على البصرة

في الوقت الذي كان فيه كمشتكين التركي على البصرة كان ابن شنكا (او ابن شنكاه) على مدينة واسط في عهد الخليفة المستنجد بالله. وكان كمشتكين قد اشتغل بجمع الاموال واهمل امر المدينة وغفل عن الطامعين بامارته فطمع به ابن شنكا فحمل عليه في سنة ٥٦١ هـ فنهب القرى والضياع ثم رجع واعاد الكرة في سنة ٥٦٢ هـ فاستولى على البصرة عنوة بعد ان نهب وخرب اكثر المواضع . واتصل خبره بالخليفة لمستنجد فارسل لطرده جيشاً بقيادة عميد الدين في سنة ٥٦٣هـ فانهزم ابن شنكا ودخلت جيوش الخليفة ظافرة .

ومات الخليفة المستنجد في سنة ٥٦٦هـ فتولى الخلافة المستضيء بامر الله فتوفى سنة ٥٧٥هـ وجلس مكانه الناصر لدين الله وكانت البصرة تحت حكم الخلافة الى سنة ٥٧٧ هـ فاقطع الخليفة الناصر لدين الله ولاية

البصرة الى احد مماليكه المعروف بالامير طغرل بك فمكث هذا الامير في البصرة الى سنة ٥٨٠هـ فولى نائبا عنه محمد بن اسماعيل.

غزوة العامريين البصرة

وفي ايامه حل على البصرة بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة العامري وساروا اليها من الاحساء في سنة ٥٨٨هـ فلما اقتربوا منها خرج لقتالهم محمد بن اسماعيل فقاتلهم طول النهار فلما جن الليل ثلم بنو عامر سور المدينة ودخلوها على حين غفلة من اهلها فقتلوا ونهبوا فانهزم محمد بن اسماعيل . وكان قد كتب قبل وصول بني عامر الى رؤساء المنتفق وخفاجة يطلب منهم النجدة فوصل منهم جمع كبير بعد دخول الغزاة بيوم فبلغ ذلك بني عامر فخرجوا مسرعين فالتقوا بالمنتفك وخفاجة بضواحي المدينة و بعد قتال انتصر بنو عامر فعادوا الى البصرة وعاد النهب والسلب مرة اخرى فاضطر البصريون الى ترك بلدهم فانهزموا منها بانفسهم فبلغ بني عامر خبر تجهيز الجيوش من بغداد لقتالهم فخرجوا من المدينة بعد بضعة ايام . فعاد البصريون الى اوطانهم وذلك في السنة نفسها (٥٨٨) هـ



البصرة في اواخر عهد العباسيين

كانت ولاية البصرة قد وجهها الخليفة الناصر لدين الله الى الامير ملتكين التركي في سنة ٦١٨هـ فاستتب امره فيها الى سنة ٦٢٢هـ في السنة التي توفي فيها الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه الظاهر بامر الله فحمل على البصرة جلال الدين بن خوارزم شاه بجيش كبير فخرج لقتاله الامير ملتكين، فاستمرت بينهما الحروب اكثر من شهر حتى وصل المدد من بغداد فانهزم جلال الدين.

وظلت البصرة في قبضة الخلافة العباسية يتولاها الولاة حتى مات الخليفة الظاهر في سنة ٦٢٣هـ وجلس مكانه المستنصر بالله فمات في سنة ٦٤١ فتولى الخلافة المستعصم بالله فلما حل هولاكو بجيش المغول على بغداد وقرض الدولة العباسية في سنة ٦٥٦هـ واستولى على العراق كله دخلت البصرة في حكمه .



الدولة الايلخانية المغولية في البصرة

او

خراب البصرة القديمة

كانت البصرة القديمة حينما استولى هولاكو عـلى العراق في سنة ٦٥٦ هـ وقرض الدولة العباسية واسس الدولة الايلخانية قد خربت من توالي الفتن والحروب وهجمات الاعراب وانهزم اهلها الى بلاد اخرى حتى لم يبق فيها غير دور قليلة . ومع ذلك فانها دخلت في قبضة هولاكو فوجه اليها حا كماً ولكنها كانت فوضى حتى مات هو لاكو في سنة ٦٦٣هـ وتولى الملك ابنه اباقاخان . وبقيت تحت حكم ولاة بغداد يولون عليها من شاؤا في عهد الملك تاكور دار أو احمد الذي تولى في سنـة ٦٨١هـ وايام ارغون خان المتولي في صنة ٦٨٣هـ وايام كيخا توخان (٦٩٠) وبايدوخان (٦٩٤) هـ وغازان (٦٩٥) هـ فتم خراب البصرة القديمة في عهده في سنة ٧٠١هـ في الوقت الذي كانت فيـه الحروب مستمرة بين آل هو لاكو والفتن على ساق وقدم . فقامت مكان البصرة القديمة البصرة الجديدة التي سنبحث عن كيفية تأسيسها وماجرى فيهـا الى آخر ايام الدولة العثمانية التركية .

تتمة

لما كانت البصرة باب العراق ومركزاً وسطاً بين سورية والحجاز ونجد وفارس وغيرها اهتم بها الخلفاء الراشدون حتى زهت في اول عهدها باعاظم الرجال وصارت في القرون الاولى من بنائها دار العلوم والفنون ومجتمع المجتهدين ومركز الآداب ومهد الحضارة والتجارة والعمران ومعدن الثروة واخذت تتوسع عاماً فعاماً خصوصاً في ايام بني امية فانهم اهتموا بها اهتماماً عظيماً قاصدين بذلك تضعيف امر يثرب (المدينة) مقر العلويين الطامحين بالخلافة . فتهافت اليها الناس من كل الجهات فازدحمت بألوف من التجار واهل الصناعة والمعارف على اختلاف مللهم ونحللهم وطارصيتها في الافاق حتي عظم شأنها واصبحت من اعظم بلاد الاسلام في عهدهم واشتهرت بالسعة والعمران و كثرة الخيرات . وظل السعد يخدمها حتى سماها العرب خزانة العرب وقبة الاسلام كما كانت الكوفة يوم ذاك تسمى قبة الاسلام .

وازدادت هذه المدينة عمراناً وثروة وزهواً وشهرة في العصر العباسي الاول حتى صارت في ذلك العهد من اكبر المدن الشرقية وسكنها كبار الرجال من العباسيين والعلويين ورجال العلم والادب وتهافت اليها

العلماء والادباء والشعراء والفلاسفة والتجار وار باب الصناعة وغيرهم فابتنوا فيها القصور الشامخة والمباني الفخمة وانشأوا الحدائق الغناء والميادين الواسعة والبرك والبساتين وحفروا عشرات الالوف من الانهار وكثرت فيها المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية وامتدت تجارة اهلها الى الهند والصين شرقاً واقصى بلاد المغرب غرباً والى الحبشة جنوباً . و كانت السفن التجارية التي ترسوا في ميناها وتحمل اصناف التجارة من الاقمشة والحبوب المختلفة والتمور وغيرها تعد بعشرات الالوف . و بلغت ضرائب تلك السفن مبلغا عظيماً منذ عهد الامويين الى اواخر العصر العباسي الزاهر ثم نقصت حينما ضعفت دولة بنى العباس حتى اصبحت (ضريبة السفن التجارية) في ايام الخليفة المقتدر بالله في سنة ٣٠٦هـ (٧٥ ٥ و ٢٢) دينار سنوياً .

اما بساتينها فكانت ممتدة الى عبادان عند الخليج الفارسي تتخللها الوف الانهار ومئات القصور والحدائق المزينة بانواع الرياحين والازهار حتى اشتهرت بالمناظر الانيقة والميادين العجيبة والبرك الفسيحة والفواكه البديعة والمباني الفخمة والقصور الشامخة و كثرت الخيرات .

اما جوامعها فكانت كثيرة جداً واشهرها الجامع المعروف يوم ذاك بمسجد الامام علي الذي كان في وسطها و كان من احسن المساجد وانظمها وافسحها واحكمها و كان صحنه مفروشاً بالحصباء الحمراء التي يؤتى

بها من وادي السباع (١) و كان عليه بناء عاليا مثل الحصن. و كان قد علق على جداره الخارج الوف من حلقات الحديد لربط خيل من يدخل الجامع من اشراف العرب وزعمائهم والواردين من النواخي ، حتى بالغ بعضهم فقال كانت تلك الحلقات سبعين الف حلقة ولكنها مبالغة غير معقولة .و كان في هذا الجامع القرآن الذي كان عثمان بن عفان يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها الآية (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) .

و بدأ انحطاط هذه المدينة منذ ضعفت الدولة العباسية فظلت تنحط سنة فسنة وتزداد انحطاطاً بسبب توالي الفتن والحروب فيها وظل الامر كذلك في عهد البويهيين وايام السلجوقيين وفي العهد العباسي الاخير حتى اصبحت في القرن السابع للهجرة لاتزيد على ثلاث محلات كبار (محلة هذيل ومحلة بنى حرام ومحلة العجم) .

ثم توالت عليها النكبات واغار عليها الخوارج حتى اضطر من بقي من اهلها الى الهجرة منها فتركوها بالتدريج فخربت عن آخرها وتم خرابها في سنة ٧٠١ هـ

ومن اسباب خرابها ظلم الولات واستبدادهم فيها وهجمات الاعداء

( ) وادي السباع مشهور وهو على ستة اميال من البصرة

عليها ووخامة الهواء الحاصلة من تعفن المياه المحيطة بها المنبعثة من انكسار سد الجزائر وتفشي الطواعين . .

وقد انجبت البصرة القديمة عدداً لا يحصى من العلماء والادباء والخطباء والكتاب والمحدثين والمؤلفين والشعراء ورجال الدين واللغة والنحو والفلسفة . في ازمان مختلفة منذ اسست الى آخر ايام العباسيين خصوصاً في عهد الامويين وفي العصر العباسي الزاهر .

ومن مشاهيرها من رجال العلم والادب.

ابو الاسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩ هـ

والحسن البصري المتوفي سنة ١١٠ هـ

ومحمد ابن سيرين المتوفي سنة ١١٠ هـ

والفرزدق الشاعر المتوفي سنة ١١٠ هـ

والمهلب ابن ابي صفرة القائد الكبير المتوفي سنة ٨٣ هـ

وابن جريج المتوفي سنة ١٥٥ هـ

والخليل بن احمد النحوي المتوفي سنة ١٦٠ هـ

وبشار بن برد الشاعر المتوفي سنة ١٦٨ هـ

وشبيب بن شيبة التميمي المتوفي سنة ١٦٥ هـ

وعبد الله بن المقفع المقتول سنة ١٤٢ هـ

وابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنه ١٩٣ هـ

وابو فيد مؤرج السدوسي المتوفي سنة ١٩٥ هـ

وسيبو يه النحوى المتوفي سنة ١٨٠

والاخفش المتوفي سنة ٢١١ هـ

وعبد الله بن داود الحريري المتوفي سنة ٢١١ هـ

والاصمعي المتوفي سنة ٢١٦ هـ

وابراهيم بن سيار المتوفي سنة ٢٢١ هـ

وابو عثمان الجاحظ المتوفي سنة ٢٢٥ هـ

وابو الهذيل محمد بن العلاف المتوفي سنة ٢٢٦ هـ

وابو علي الضحاك الشاعر الخليع المتوفي سنة ٢٥٠ هـ

وابو داود المحدث المتوفي سنة ٢٧٥ هـ

وابو بكر العبدي المتوفي سنة ٣٠٤ هـ

وابو القاسم نصر الخبزارزي الشاعر المتوفي سنة ٣١٧ هـ

وابو الحسن علي الاشعري المتوفي سنة ٣٢٤ هـ

وابو يعقوب يوسف اللغوي المتوفي سنة ٤٢٣ هـ

وابو عبدالله ابن الشباس الذي ادعى الالوهية المتوفي سنة ٤٤٤ هـ

وابو محمد القاسم الحريرى المتوفي سنة ٥١٣ هـ

وغير هؤلاء كثيرون كحماد والسيد الحميري وخلف الاحمر و يونس بن حبيب والوزير احمد بن عمار وزير المعتصم وابو زيد الانصاري

ويزيد بن المهلب وهرون بن موسى اليهودي وابوالحسين محمد المعروف بابن لنكاك الشاعر وابن ابى اسحق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وميمون الاقرن وابو الحسن النضر بن شميل التميمى المازني والحسين بن حمدان مؤسس الديانه النصيرية وعلى بن محمد القيسي الخارجي وابو محمد عبد الله الا كفاني واخوان الصفا وهم زيد بن رفاعة وابو سليمان محمد بن مشعر البستى المعروف بالمقدسي وابو الحسن على بن هرون الريحاني وابو احمد المهرجاني والعوفي

وغيرهم ممن لو ذكرنا اسمائهم وتراجمهم لاحتجنا الى تنميق كتاب كبير .

اما الذين ماتوا بالبصرة ودفنوا فيها من الصحابة والتابعين المستشهدين يوم الجمل فهم عدا ما ذكرنا اسمائهم كثيرون ايضا فمن هؤلاء من الصحابة طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وابى بكرة وعتبة وغيرهم ممن استشهدوا يوم الجمل وكانوا كثيرين . ومن التابعين محمد بن واسع وعتبة الغلام ومالك بن دينار وسهل بن عبد الله التستري (والحسن البصري ومحمدابن سيرين وحماد) .

وفيها ماتت حليمة السعدية ام النبي في الرضاعة . وعلى ستة اميال من البصرة قرب وادي السباع دفن انس بن مالك .

الفصل الثاني

البصرة الحديثة

ذكرنا قبل هذا في محله ان الخليفة المعتمد على الله كان قد سير اخاه طلحة الملقب بالموفق بالله بجيش كبير الى البصرة في سنه ٢٦١ هـ لقتال علي بن محمد القيسي صاحب الزنوج الذي اشغل الدولة العباسية بالحروب اعواماً فلما وصل الموفق البصرة ورأى صاحب الزنوج قد ابتنى بالقرب من البصرة مدينة كبيرة وحصنها بالاسوار والابراج والعدد والعدد واتخذها مقراً للحركات الحربية ابتنى الموفق مدينة صغيرة على نهر الابلة او على شط العرب تبعد عن البصرة القديمة بنحو ٢٨ الف قدم (فوت) الى الشمال الشرقي (او تبعد عن القديمة بنحو ساعتين) لحسن موقعها الجغرافي وجعلها مركزا عاما لجيشه ومقراً للحركات الحربية فعرفت بالموفقية نسبة اليه فلما انتصر انتصاراً نهائيا على صاحب الزنوج وقتله في سنة ٢٧١ هـ بقيت هذه المدينة عامرة ثم سميت على توالي الاعوام باسم البصيرة (تصغير البصرة) وصارت متنزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء فابتنوا فيها القصور والمنازل حتي توسعت وزادت عماراتها على توالي الايام واخذ البصريون يهاجرون اليها رويداً رويداً فما تم خراب البصرة القديمة الا وصارت هذه مدينة كبيرة وسميت البصرة

واندرس اسم الموفقية واسم البصيرة وقامت مقام القـديمة في سنة ٧٠١ في عهدالسلطان غازان احدملوك الدولةالايلخانيةالتي اسسها هو لاكو المغولي فى العراق بعد دولة بني العبـاس في سنة ٦٥٦ﻫ اعني انها قامت مقام القديمة في اوائل القرن الثامن للهجرة الموافق لاوائل القرن الرابع عشر الميلاد .

البصرة الحديثة
في عهد الايلخانيين

كانت البصرة الحديثة في عهد الملك غازان اوقازان الايلخـانى المغولي تابعة لبغداد ترسل اليها الحكام من قبل الحا كم العام المقيم ببغداد وظلت على تلك الحال حتى مات هذا السلطان في سنة ٧٠٣ﻫ وتولى الملك ابنه السلطان خدابنده محمد ثم تولى بعده ابنه السلطان ابو سعيد بها درخان في سنة ٧١٥ﻫ وفي ايامه في سنة ٧٢٥ﻫ كان على البصرة اميراً ر كن الدين الفارسي التوريزي . فلما مات ابو سعيد هذا في سنة ٧٣٦ﻫ وتولى السلطنة ار پا غاوون أو ار پاخان ثار حا كم العراق ببغداد عـلي پادشاه فنادى بسلطنة موسى خان احد افراد الاسرة المالـكة فقامت الفتن والحروب بين التتريين فتغلب على بعض البلاد الفراتية المماليـك ملوك مصر والشام وتغلبت قبائل العرب على البصرة والكوفـة وعلى

اكثر البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق . وانتهت فتنة التتريين بقتل ار باغاوون وصار الملك الى موسى خان فقتل بعد بضعة اشهر فعادت الحروب بين افراد العائلة المالكة وبقيت البلاد العراقية فوضى فحمل الشيخ حسن الكبير الجلائري التتري بجيش جرار و كان اميراً على التتر الرحل المبثوثين في آسيا الصغرى فالتقى بحاكم العراق موسى خان وبعد حروب انتصر عليه وقتله ثم سار الى العراق فاستولى عليه في سنة ٧٣٨ هـ واسس الدولة الجلائرية في العراق .

البصرة في ايام الدولة الجلائرية وايام تيمور لنك

بعد ان استقر أمر الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلائرية التترية في العراق في سنة ٧٣٨ هـ وجه الولاة الى البلاد ومنها البصرة فبقيت هذه المدينة يحكمها رجاله الى ان توفي في سنة ٧٥٧هـ وتولى العراق ابنه السلطان اويس ثم مات في سنة ٧٧٦هـ فاستقل بالعراق ابنه السلطان حسين فقتله اخوه السلطان احمد في سنة ٧٨٤ هـ وجلس مكانه فقامت المعارك والحروب بين رجال الاسرة المالكة حتى ضعفت الدولة في الوقت الذي كان فيه الفاتح المشهور تيمور لنك ملك التتر قد قوي أمره

وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وخراسان وسجستان وافغانستان واذربيجان وغيرها حتى وجه نظره الى العراق فحمل عليه في سنة ٧٩٥ هـ فانهزم السلطان احمد لعدم قدرته على صده فاستولى تيمور لنك على بغداد اولاً ثم على بقية المدن العراقية فوجه الولاة الى الامصار وترك في كل مدينة حامية وسار هو لفتح الهند

وكان السلطان احمد قد فر الى مصر ملتجأ بسلطانها الملك الظاهر برقوق فجهزله جيشاً كبيراً وسيره معه الى بغداد فلما اقترب منها انضمت اليه اكثر القبائل العراقية فحاصر بغداد فاضطر الحاكم الامير مسعود السبزاوي الى الهزيمة منها فدخلها السلطان احمد في سنة ٧٩٧هـ فعادت له اكثر المدن العراقية .

اما تيمور لنك فانه بلغه ماقام به السلطان احمد الجلائري من استرجاع العراق فكر راجعاً في سنة ٨٠٣هـ وبعد حروب استولى على بغداد عنوة (مرة ثانية في السنة نفسها .)

ومات تيمور لنك في سنة ٨٠٨ هـ اثناء عودته من بلاد الصين فتولى الملك بعده حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور لنك فاغتنم الفرصة السلطان احمد الجلائري فعاد الى العراق واستنفر القبائل العراقية فانضم اليه خلق كثير وبعد معارك استرد بغداد في السنة نفسها ثم استرد بقية المدن العراقية فاستقام امره في العراق .

ولم يكد السلطان احمد يستريح من تيمور لنك ومن قام بعده حتى حدثت بينه وبين قره يوسف التركماني صاحب ديار بكر واذربيجان حروب في سنة ٨١٣ هـ انتهت بقتل السلطان احمد غدراً في السنة نفسها في جوار تبريز ثم انقرضت دولة الجلائريين في سنة ٨١٤هـ وقامت على انقاضها في العراق دولة الخروف الاسود التركمانية (١) وكانت البصرة في ايام الجلائريين كغيرها من بلاد الرافدين يحكمها الولاة المستبدون ولم يصلنا عنها خبر يستحق الذكر .

واول من ملك العراق من ملوك دولة الخروف الاسود قره يوسف ثم ولي على العراق ابنه الشاه محمود في سنة ٨١٥ هـ فقتل في سنة ٨١٧هـ فتولى العراق اخوه الشاه محمد بن قره يوسف فقتل ايضا في سنة ٨٤١ هـ وصارت السلطنة الى ميرزا جهان شاه بن قره يوسف وتم امره في العراق وديار بكر واذربيجان وفارس وكرمان فولى في سنة ٨٦٧هـ على العراق ابنه پيربداق غير ان الحروب بقيت بين رجال هذا البيت حتى ضعف امرهم واصبحت البلاد التي تحت حكمهم ومنها البصرة فوضى تقريبا ولم تكد تلك الفتن تنتهي حتى طمع في هذه الدولة حسن الطويل

---

(١) سميت دولة الخروف الاسود (قره قويونلي) لان ملوكها كانوا يرسمون على اعلامهم خروفاً اسوداً كما كانت دولة الخروف الابيض ترسم على اعلامها خروفاً ابيضاً .

الـتركماني مؤسس دولة الخروف الابيض (اق قويونلي) في ديار بكر فقامت بينه وبين جهان شــاه حروب دامت سنتين فانتهت باستيلاء حسن الطويل (اوزون حسن) بن علي بيك على قسم من بلاد هذه الدولة في سنة ٨٧٢ هـ ثم عادت الحروب بين الدولتين فانجلت عن انقراض هذه الدولة في سنة ٨٧٤ هـ فقامت مــكانها في العراق دولة الخروف الابيض . ولم يملك العراق من رجال دولة الخروف الاسود غير اربعة ملوك ولم يكن ملكهم في هذا القطر اكثر من ستين سنة

ولم يكن رجال دولة الخروف الابيض اهلاً للملك بل كانوا كرجال الدولة التركمانية المنقرضة ومن اجل ذلك قامت بين افراد الاسرة المالكة حروب عنيفة بعد موت حسن الطويل في سنة ٨٨٣ هـ فقتل اكثرهم واستمرت الفتن والحروب حتى تولى اخرهم السلطان مراد بن يعقوب شاه في الوقت الذي كانت فيه الدولة الصفوية الفارسية قد قوي امرها وفتحت بلاداً كثيرة فحمل الشاه اسماعيل الصفوى على العراق في سنة ٩١٤ هـ واخذه من السلطان مراد بعد حروب . ولم تكن مدة حكم دولة الخروف الابيض في العراق اكثر من اربعين سنة. ولم يصلنا عن البصرة في عهد هاتين الدولتين التركمانيتين شيء يستحق الذكر ولا شك انها كانت في اضطراب كغيرها من المدن العراقية بسبب توالى

الفتن والحروب منذ قامت دولة الخروف الاسود الى ان انقرضت دولة الخروف الابيض هذه .

البصرة في عهد الدولة الصفوية الفارسية

كان الشاه اسماعيل الصفوي بن حيدر مؤسس الدولة الصفوية في ايران قد فتح بلاداً كثيرة واسس مملكة واسعة الاطراف وكان طامحا في العراق فلما قوي امره ورأى اصحاب العراق قد انهكتهم الحروب الداخلية حل عليه في سنة ٩١٤ ﻫ كما تقدم وبعد حروب استولى على بغداد اولاً ثم على غيرها فدانت له اكثر بلاد الرافدين ولكنه لما انشغل في حروب خراسان حل السلطان مراد بن يعقوب شاه على بغداد في سنة ٩١٦ ﻫ فاستردها فاعاد الكرة الشاه اسماعيل فطرد السلطان مراد من العراق طرداً نهائيا وقرض دولة الخروق الابيض التركمانية في سنة ٩٢٠ ﻫ وولى على العرق حاكما عاما احد رجاله المدعو ابراهيم خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الامير على البلاد التابعة له رجالاً من خاصته ومنها البصرة .

وتوفى الشاه اسماعيل في سنة ٩٣٠ ﻫ فتولى الملك ابنه الشاه طهماسب الاول وكان قاسي الحكم فولى على البلاد العراقية رجالاً قساة

مثله فظلموا الناس حتى اضطر اكثر اهل البلاد الى الهجرة من اوطانهم وعصت اكثر القبائل العراقية واستقلت بنفسها .

وتغلب في السنة نفسها (٩٣٠) على بغداد الامير ذو الفقار بن نخود سلطان (١) رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية وكان قبل ذلك مستولياً على اطراف لورستان فلما دانت له بغداد وبعض مدن الرافدين احتمى بالسلطان سليمان القانوني العثماني وارسل اليه وفداً من بغداد لعرض الطاعة والدخول تحت سيادته وخطب له على المنابر وضرب السكة باسمه . اما الشاه طهماسب فانه لما بلغته اعمال ذي الفقار تريث حتى اذا ما كانت سنة ٩٣٦ هـ حل على بغداد بجيشه فحاصرها ولكنه لما عجز عن اخذها بالقوة لحصانة اسوارها يوم ذاك ركن الى الخداع (والحرب خدعة) فاغرا علي بيك واحمد بيك اخوي ذي الفقار واطمعهما بالمناصب الرفيعة والمال فانخدعا فاغتالا اخاهما وقتلاه غدراً وسلموا المدينة الى الشاه في سنة ٩٣٦ هـ وعلى اثر سقوط بغداد سلمت اكثر المدن فولى الشاه على العراق حاكما عاما بكلو محمد خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الامير على البصرة والجزائر قانصو بيك الفارسي وبقيت هذه

---

(١) ويروى انه كان اميراً على بغداد من قبل الشاه وقد وجهت اليه امارتها في سنة ٩٣٤ هـ فخلع طاعة الشاه طهماسب بعد اشهر واعلن استقلاله . وقيل وجهت اليه امارتها في سنة ٩٣٠ هـ فاستقل فيها .

المدينة وسائر المدن العراقية خاضعة للفرس حتي حمل السلطان سليمان القانوني على العراق ودخل بغداد فاتحا في سنة ٩١٤ ﻫ .

البصرة في العهد العثمانى الاول

يقول بعض المؤرخين ان الذي حمل السلطان سليمان القانونى على اشهار الحرب على الصفويين قسوة الفرس واضطهادهم السنة ابناء مذهبه في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية قد بلغت فيه مبلغاً عظيماً من القوة فصمم السلطان على الانتقام منهم فاعلن الحرب عليهم فافتتحت جيوشه تبريز ثم بغداد في سنة ٩٤١ ﻫ ثم الموصل ودانت له بلاد الرافدين. ولعله اتخذ اضطهاد ابناء مذهبه ذريعة للاستيلاء على هذا القطر شأن اكثر الملوك حينما يخدمهم السعد وتقبل عليهم الدنيا .

اما البصرة فانها كانت يوم مجيء السلطان سليمان الى بغداد بعد دخول جيشه فيها بايام تحت حكم امير فارسي اسمه راشد خان و كان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار الى بغداد للمثول بين يدي هذا الفاتح الكبير فلما قدمها عرض الطاعة والخضوع فأقره السلطان على البصرة على شرط ان تكون الخطبة والنقود باسم السلطان وان يكون ممتثلاً لاوامر ولاة بغداد الاتراك في المسائل الهامة فعاد راشد خان الى منصبه ولكنه استبد بالامور بعد اشهر كان لم تكن

له رابطة بالدولة العثمانية فاضطرت الى ارسال جيش بقيادة الوزير اياس باشا لطرد راشد خان من البصرة (١) فلما قترب جيش الاتراك فر راشد خان فدخل الاتراك البصرة بدون حرب في سنة ٩٥٣ ﻫ فنظم اياس باشا شؤون البصرة وضم اليها واسطا وجزائر شط العرب .

وظلت البصرة في قبضة الاتراك التابعين لولاة بغداد الى سنة ١٠٠٥ ﻫ فاستقل بها امراؤها واستبدوا فيها وحكموا اهلها بما تشتهيه نفوسهم. دحلت سنة ٩٧٠ ﻫ فوجهت امار البصرة الى درويش علي باشا التركي. و كان هذا سيء التدبير غير كفؤ للحكم فزال نفوذه وقلت الاموال عنده حتى عجز عن ارزاق الجند المحافظين للمدينة .

استقلال الامراء بالبصرة

كان رجل في البصرة يدعي افراسياب الديري (٢) وكان كاتبا لاميرها علي باشا فلما ضعف امر الامير وقلت عنده الاموال وعجز عن

---

(١) ويروى ان السلطان سليمان لما استولى على العراق كان على البصرة حاكما مغامس بن مانع وهو الذي خضع للسلطان وارسل ابنه راشد لعرض الطاعة فحكم مغامس البصرة ست سنوات ثم استبد بالامور وعصى علي ولاة بغداد الاتراك وكان سبب عصيانه ان جماعة ممن عصوا حكومة بغداد كانوا قد التجأوا بمغامس فطلبهم والى بغداد منه فامتنع عن تسليمهم فاشتد الخلاف حتى عصى مغامس فكتب بذلك الوالي الى السلطان فامر بطرده من البصرة وسيره جيشا لاخذها منه بقياده والي بغداد اياس باشا وبعد حروب انهزم مغامس الى نجد فاستولى الجيش العثماني علي البصرة وذلك في سنة ٩٥٤ﻫ

(٢) الديري نسبة الى الدير الذي هو موضع في شمال البصرة . ويروى ان افراسياب من نسل آل سلجوق الاتراك وان اهل الدير اخواله .

تدبير شؤون الامارة واعاشة الجند حتى استخف به الأهلون نساوم ثم كاتبه افراسياب على امارة البصرة فباعها له بثمانية اكياس من الذهب (والكيس ثلاثة آلاف محمدية) على شرط ان يكون افراسياب خاضعاً لسلاطين آل عثمان وان يخطب لهم على المنابر ويضرب السكة باسمائهم وعلى هذه الشروط استلم افراسياب امارة البصرة واستلم علي باشا المال وسار الى الاستانة وذلك في سنة ١٠٠٥ هـ في عهد السلطان مراد الثالث وهذا الحال اعنى بيع امارة كامارة البصرة التى هى باب العراق سواء علم بذلك السلطان او بالعكس مما يدل على شيوع الفوضى في المملكة العثمانية يوم ذاك .

ولم تمض على أمر افراسياب اشهر حتى قوي امره وخافه الامراء وكان اهلا للامارة فاحبه الناس لسيرته الحسنة ثم استولى على اكثر الجزائر ومنع ما كان يأخذه من البصرة حاكم الحويزة السيد مبارك خان من الجوائز السنوية التي كانت اشبه بالجزية (او الخاوة) وكذلك منعه من اخذ شيء من جهة شط العرب الشرقية (١) وظل السعد يخدم افراسياب

(١) يقول بعض المؤرخين ان السيد مبارك هذا هجم بجموعه سنة ١٠٠٦ هـ على قرى البصرة فقتل ونهب فوجهت الدولة العثمانية ايالة بغداد للوزير حسن باشا واودعت اليه قيادة جيوش العراق وضمت اليه شهر زور على ان يقمع الفتن التى يثيرها السيد مبارك في جهات البصرة . والظاهر ان المؤرخ اخطأ في التاريخ وان الحادثة كانت قبل بيع امارة البصرة الى افراسياب . والحويزة قصبة بخورستان اعني الاهواز .

حتى بقي مستقلا بالبصرة وما يتبعها سبع سنوات ، فتوفي بالبصرة في سنة ١٠١٢ ﻫ وتولى الامارة ابنه علي باشا بوصية منه وكان حازما كابيه فافتتح بقية الجزائر (١) وكوت معمر وكوت الزكية وفتح صدره للعلماء والشعراء وأمن السبل ، وفي ايامه ولد بالبصرة في سنة ١٠٢٥ ﻫ شهاب الدين ابن معتوق الموسوي البصري الشاعر المتوفي سنة ١١١١ ﻫ

وفي ايامه في سنة ١٠٣٦ ﻫ زحف القائد الفارسي صفي قلي خان بجيش كبير من الفرس على البصرة بأمر من الشاه عباس الاول بعد ان افتتح الشاه بغداد في سنة ١٠٣٢ ﻫ فحاصر هذا القائد البصرة حصاراً شديداً دافع في خلاله علي باشا دفاع الابطال وبينما هم في ذلك اذ فاجأهم خبر موت الشاه فتركوا الحصار وعادوا الى بغداد اذ كان صفي قلي خان يوم ذاك قائداً لجيش بغداد الفارسي .

وبقي علي باشا منفرداً بالحكم حتى مات في سنة ١٠٥٧ ﻫ فتولى الامارة ابنه حسين باشا فورده منشور السلطان بتوجيه الامارة اليه على جري العادة في ذلك العهد فاستبد بالامور واساء السيرة والتدبير وظلم الاهلين حتى

(١) الجزائر هي الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب وكانت كثيرة منها قرية بني منصور وقرية بني حميد ، ونهر عنتر ونهر صالح ودبار بني اسد وديار بني محمد ، والفتحه . والقلاع ونهر السبع ونهر صالح والباطنة والمنصورية والاسكندرية ومواضع اخر وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمورة وطوائف كثيرة وهي كثيرة المياه وعرة المسالك .

كرهوه ونقموا عليه ثم حدثت بينه وبين عميه احمد اغا وفتحي بك ولدي افراسياب وحشة فسارا الى عاصمة آل عثمان فشكيا الى السلطان اعمال حسين باشا واستبداده وظلمه فاصدر السلطان محمد الرابع امره بطرده من البصرة وبتجهيز الجيوش بقيادة والي بغداد مرتضى باشا فجهزت الجيوش من بغداد وغيرها من المدن العثمانية وسار مرتضى باشا قاصداً البصرة في سنة ١٠٦٣هـ

وبلغ ذلك حسين باشا فاستعد للحرب وحصن القلاع خصوصاً قلعة القورنة (١) فالتقى الجيشان وبعد قتال حاصر مرتضى باشا البصرة ودام الحصار ثلاثة اشهر وانتهى الامر بهزيمة حسين باشا ودخول مرتضى باشا البصرة ظافراً في سنة ١٠٦٤ هـ وفر حسين باشا باهله وامواله وحاشيته الى بلاد ايران .

ولما دخل مرتضى باشا البصرة صادر اموال جماعة من الوجهاء وقتل بعض الاعيان الموالين لحسين باشا ثم قتل احمد اغا وفتحي بك واستعمل الشدة والظلم حتى نقم الناس وكرهوه وبينما كان الحال باضطراب اذ حدثت فتنة بين جنود مرتضى باشا الذين في القورنة فثار اهل الجزائر

---

(١) القورنة كانت قلعة صغيرة فلما تولى البصرة علي باشا ابن افراسياب زاد فيها وجعلها قلعة كبيرة فسميت العلية ثم زاد في تشييدها واتقانها حسين باشا ابن علي باشا وجعلها ثلاث قلاع حصينة .

على الباشا وتبعهم اعراب قشعم والمنتفكيون وخزاعل و بنو كعب و بنو لام فقتلوا عماله واصبحت البصرة محاطة بالثائرين فاضطر مرتضى باشا الى الخروج من البصرة منهزما بعساكره الى بغداد .

وعلى اثر انسحاب مرتضى باشا من البصرة ارسل البصريون الى اميرهم الفار حسين باشا يطلبون قدومه اليهم فاقبل في السنة نفسها (١٠٦٤) فدخل المدينة باحترام وعاد الى منصبه فدان للسلطان وكتب اليه يطلب عفوه و يرجو توجيه الامارة اليه وقدم اليه هدايا ثمينة فصدر منشور السلطان بتوجيه امارة البصرة الى حسين باشا ولقبه بلقب الوزير ايضا على عادة السلاطين في ذلك العهد مع كل امير قوي . وظل حسين باشا مستقلا بالبصرة ولكنه اعاد حكمه القاسي واستبد بالامور وظلم الناس وتجبر ثم طمع بالاحساء فسير لاخذها جيشاً في سنة ١٠٧٣ ه فافتتحها جيشه عنوة وفتك باهلها فتكا ذريعاً ونهب وقتل وفر حاكمها محمد باشا الى عاصمة آل عثمان مستغيثاً بالسلطان فغضب السلطان على حسين باشا وامر بطرده من البصرة ووجه قيادة الجيش الى والي بغداد ابراهيم باشا فاجتمع الجنود العثمانية من البلاد في بغداد فسار الوالي بجيش كبير قاصداً البصرة في سنة ١٠٧٥ ه

واتصل خبر هذه الحملة بحسين باشا فاستعد للحرب فالتقى الجيشان

عند قلعة القورنة فدارت رحى الحرب بين الفريقين ثم حاصر ابراهيم باشا القورنة حصاراً شديداً وفي اثناء ذلك ارسل الى البصريين كتباً يدعوهم للخضوع الى السلطان ويحذرهم عاقبة العصيان و يعدهم ويمنيهم فثاروا على محمد بن فداغ نائب حسين باشا فقتلوه وقتلوا اعوانه وطردوا من البصرة عيال حسين باشا فبلغ ذلك حسين باشا وهو يومئذ محاصر في القورنة فارسل ثلاثة آلاف فارس من قبائل المنتفك واهل الجزائر للتنكيل بالبصريين فهجموا عليهم ليلا فقاتلهم البصريون داخل المدينة ولكنهم انكسروا وفروا فقتل الاعراب احد الوجهاء الشيخ ذي الكفل وجماعة من الوجهاء وغيرهم ونهبوا وخربوا واحرقوا دوراً كثيرة وفتكوا بالاهلين .

واستمرت الحرب بين ابراهيم باشا وبين حسين باشا ثلاثة اشهر فعجز الاول فاضطر الى المصالحة وبعد مراسلات تم الصلح على شروط منها ان يدفع حسين باشا نفقات هذه الحرب ستمائة كيس من النقود وان يسلم في كل سنة مائتي كيس من النقود الى خزينة الدولة وان يعيد متصرف الاحساء محمد باشا الى منصبه . وتعهد ابراهيم باشا بصدور عفو السلطان وتوجيه امارة البصرة الى حسين باشا واخذ معه يحيى اغا ابن علي اغا صهر حسين باشا ليأخذ منشور السلطان بالامارة ورجع ابراهيم باشا الى بغداد وعاد حسين باشا الى البصرة وانتهت هذه الفتنة

في سنه ١٠٧٦ ﻫ

ولما رجع ابراهيم باشا الى بغداد ومعه يحيي اغا انهزم اربعة من الكواوزة الذين ضاق بهم الحال مع حسين باشا لسوء سيرته وهم احمد بن محمود وابراهيم بن علي واثنان اخران (١) وانضموا الى ابراهيم باشا ثم توجهوا مع يحيي اغا الى الاستانة فاطمعوه بولاية البصرة فاتفق معهم وغدر بصاحبه وجيه حتى اذا ما وصلوا الاستانة شكي جميعهم الى السلطان ظلم حسين باشا واستبداده. واتفق في تلك الاثناء وصول كتاب من وجهاء البصرة الى السلطان مع جماعة منهم يشكون فيه اعمال حسين باشا وحكمه القاسي واخذ الاموال بالباطل، اذا غتصب اموال التجار والاعيان وفتك بكثيرين منهم بعد مصالحته مع ابراهيم باشا والي بغداد فاجتمع الوجوه سراً و كتبوا كتاباً الى السلطان شكوا فيه مايقاسونه من الظلم والعسف والاستبداد وارسلوه مع جماعة منهم الى العاصمة ليقدموه الى السلطان :

فلما كثرت الشكوى على حسين باشا عند السلطان أصدر امره بطرده من البصرة طرداً نهائياً وبتوجيه امارتها الى يحيي اغا ووجه اليه

الكواوزة او بيت الكواز ينسبون الى الكواز الشيخ محمد المشهور بالكواز وهم اولاده ولهذا البيت منزلة رفيعة بالبصرة والشايع انهم من نسل العباسيين وهم المعروفون اليوم بآل باش اعيان ،

رتبة الوزارة فدعى يحيي باشا واودعت قيادة الحملة الى الوزير ابراهيم باشا والي بغداد ويروى ان قيادة هذه الحملة كانت قد اودعت الى الوزير قره مصطفى باشا بأمر من السلطان محمد الرابع في سنة ١٠٧٨ﻫ فاجتمع الجيش العثماني ببغداد وانضمت اليه جيوش الرقة والموصل وشهرزور وغيرها حتى بلغ عدد الجيش على ماقيل خمسين الف مقاتل .

واتصل خبر هذه الحملة الكبيرة بحسين باشا فاستعد للحرب وصادر اموال التجار والمثرين وارسل امواله وعياله الى بلاد ايران وظل يجمع الجموع حتى بلغ عدد جيشه خمسة عشر الف مقاتل فتوجه به نحو القورنة فأصدر أمره باخلاء البصرة فاخلوها في ثلاثة ايام وخرج اهلها من ديارهم في اسوأ حال ثم امره اهل القرى التابعة للبصرة بالجلاء عن ديارهم فتركوها بعد ان نهبت رجاله اكثر اموالهم وقتلوا وعذبوا من خالف الامر وكان الموظفون على تخلية تلك الديار اعوان هذا الامير القاسي الحكم منهم احد مماليكه علي بن احمد بن شاطر وحسين بن طهماز وغيرهما .

والتقى جيش السلطان بجيش حسين باشا بالقرب من القرنة وبعد معارك دامت اياماً انكسرت جيوش حسين باشا فاضطر الى ان يتحصن في قلاع القورنة فانهزمت عساكره ثانية واستولى الجيش التركي على قلاع القورنة فاعمل السيف في اهلها وقد قتل في هذه المعركة الاخيرة

نحو الاربعة آلاف من الاعراب فانهزم حسين باشا بحاشيته الى بلاد ايران قاصداً شيراز فدخل الجيش العثماني ظافراً وذلك في سنة ١٠٧٨هـ (١) وانتهى امر استقلال الامراء بالبصرة .

ولاة البصرة الاتراك

دخل الجيش العثماني البصرة فتولى ولايتها يحيي باشا ورتب جيشا لحماية المدينة ونظم شؤونها ولكنه بعد ان عادت الجيوش الى اماكنها وقوي امره تغيرت سيرته فرفض قبول الدفتري (الدفتردار) التركي وامتنع عن اداء نفقات الجيش ثم طرد الدفتري وامراء الجيش وطلب ان ينفرد بالحكم على ان يؤدي في كل عام مائتي كيس من النقود الى خزينة الدولة واستمر على عتوه منفرداً بالحكم حتى حدثت بينه وبين الانكشارية الذين في القورنة فتنة بسبب تأخير مرتباتهم فارسل لقتالهم فرسانا من القبائل العربية التي تحت حكمه فقتلوهم ونجا منهم من فر فبلغ ذلك السلطان فاصدر امره بعزله وبتوجيه ولاية البصرة الى قره مصطفى باشا المعروف بقبوجي باشي وذلك في سنة ١٠٨٠هـ فسار

---

(١) وقيل في سنة ١٠٧٩ هـ ثم سار حسين باشا من شيراز الى الهند وهناك تولى بعض المدن ثم قتل في حرب حدثت بينه وبين احد الولاة .

الأمير الجديد بجيش من الأتراك فاستلم البصرة وبقي على امارتها الى سنة ١٠٨٣ هـ فابدل بمحافظ بغداد حسن باشا ثم عزل وتولى مكانه السلاحدار حسين باشا في سنة ١٠٨٥ هـ فظل على ولاية البصرة الى ان نقل في سنة ١٠٨٨ هـ الى ولاية ديار بكر فاعيد على البصرة حسن باشا ثم طلبه السلطان في سنة ١٠٩٢ وارجع على ولاية البصرة السلاحدار حسين باشا ثم عزل في سنة ١٠٩٤ هـ ووجهت ولاية البصرة الى الوزير عبد الرحمن باشا وكان هذا الوزير من خيرة الولاة عالما فاضلا حسن السيرة والتدبير محبياً للعلم والعلماء فجدد بناء المساجد واحيا بعض المدارس واسس المدرسة المعروفة بالرحمانية (نسبة اليه) وخفف عن الاهلين بعض الضرائب ومن اجل ذلك احبه البصريون حباً جماً ولكنه عزل في سنة ١٠٩٨ هـ وتولى بدله حسين باشا الكركجي فاساء السيرة وظلم الاهلين فعزله السلطان في سنه ١٠٩٩ هـ واعاد الوزير عبد الرحمن ففرح البصريون بعودته فلم يدم فرحهم الا قليلا لان السلطان عزله في سنة ١١٠٠ هـ وولى على البصرة دفتريها السابق حسين باشا ومنح له لقب الوزير ايضا فثار في ايامه سنه ١١٠٢ هـ الشيخ مانع أمير المنتفك وخرج على الدولة فحدثت بينه وبين حسين باشا هذا عدة معارك انجلت عن انكسار حسين باشا شر كسرة لعدم نصرة والي بغداد له وكانت

النتيجة ان قوي امر مانع فاستولى بعد انتصاره بقليل على جصان و بدره ومندلي . وعلى اثر ذلك عزل السلطان حسين باشا عن البصرة وارسل بدله الوزير احمد باشا ابن عثمان باشا .

هجمات المنتفكيين على البصرة

تولى احمد باشا البصرة فحدث في ايامه طاعون شديد الوطأة فمات به خلق كثير من البصريين فاغتنم الاعراب فرصة انشغال البصريين وأميرهم بهذا المرض الفتاك فاتفق اهل الجزائر والمنتفكيون على غزو البصرة ونهبها فحمل عليها منهم ثلاثة آلاف فارس بقيادة أمير المنتفك الشيخ مانع فبلغ ذلك احمد باشا فلم يتمكن من جمع جيش كاف لصدهم فخرج لقتالهم بخمسمائة فارس فالتقى بهم في الدير فتقاتلوا ثلاثة ايام فانجلت المعركة عن تمزيق جيش البصرة ووقوع احمد باشا قتيلا في المعركة .

واتصل خبر هذه الحادثة بالبصريين فاتفقوا على تولية الكتخدا حسين اغا ليقوم بصد الاعراب فولوه عليهم فجمع منهم جمعاً كبيراً للدفاع وبينما هو في ذلك اذ هجم الثائرون على المدينة فوقف لصدهم ودافع دفاع المستميت حتى تمكن من طردهم ولكنه قتل بعد ذلك في سنة ١١٠٣هـ فاتفق البصريون على نصب حسين الجمال والياً عليهم فقام

بالامر حتى وجهت الولاية الى خليل باشا اخي والي بغداد احمـد باشا في سنة ١١٠٤ هـ فجمع خليل باشا جيشا من بغداد وجائت اليه الجيوش نجدة من الموصل وشهرزور بأمر من السلطان لقتال امير المنتفك مانع فقاد الحملة بنفسه حتى التقى بمانع في الجزائر وبعد حروب دامت خمسة ايام انكسرت جيوش خليل باشا فاضطر الى التقهقر فاستولى الامير مانع على معسكره ونهب امواله وذخائره وتحصن خليل باشا في البصرة .

وقوي امر مانع حتى اضطر السلطان الى استمالته وكتب اليه كتاباً يدعوه فيه الى الطاعة والخضوع وينصحه ويحذره عاقبة الشقاق والخلاف . واصدر امره بزيادة مخصصاته فخضع مانع لامر السلطان وعاد الى مقره وهدأت الاحوال .

استيلاء المنتفكيين على البصرة

لما صفى الجو لخليل باشا والي البصرة اطلق العنـان لاعوانـه فاستبدوا بالامور وظلموا الاهليين واضطهدوهم على مرأى ومسمع منه حتى ضاق الحال بالبصريين فاتفقوا على طرده فثاروا عليـه وطردوه هو واعوانه وسلمو المدينة الى امير المنتفك الشيخ مانع وذلك في سنـة ١١٠٦ هـ والظاهر ان الشيخ مانع هو الذي سبب هذه الثورة ليتسنى له

الحكم بالبصره .

وبقى الشيخ مانع امــيراً على البصرة الى سنة ١١٠٩ هـ منفردا بالحكم والدولة العثمانية لاتبدي حراكا لضعفها و كانت النتيجة ان خدع حاكم الحويزة فرج الله خان مانعا واستعمل عليه الحيل والدسائس والخداع حتى اخرجه من البصرة فاستولى عليها .

دخول البصرة
في قبضة الفرس واخراجهم منها

استولى فرج الله خان حاكم الحويزة على البصرة كما ذكرنا فلما استتب امره فيها استخلف عليها احد رجاله المدعو داود خان فدخلت البصرة تحت سيادة الفرس .

و بلغ خبر استيلاء فرج الله خان على البصرة الى السلطان فلم يشأ ان يتركها وهو من ولاة الفرس المستقلين في تلك الجهات فوجه ولاية البصرة الى والي حلب علي باشا وامره بجمع العساكر من البلاد لقتاله واخراجه من البصرة فاجتمعت الجيوش من حلب وديار بكر والموصل وسيواس و بغداد حتى بلغ عدد الجيش نحو الخمسين الفاً على مانقل فسار علي باشا بالجيوش حتى وصل القورنة في سنة ١١١١ هـ فسمع داودخان بقدوم هذا الجيش الكبير فانهزم من البصرة فدخلها علي باشا بدون قتال فدانت له المدينة ومـــا

يتبعها من القرى والقبائل فساد الامن والسكون وعادت البصرة الى الدولة العثمانية بعد ان ملكها حاكم الحويزة الفارسي نحواً من سنتين .

استيلاء المنتفكين على البصرة ثانية وطردهم منها

دخلت سنة ١١١٤ هـ فوجهت ولاية البصرة الى محمد باشا القودان فدام حكمه فيها الى سنة ١١١٨ هـ فعزل وارسل بدله الوزير خليل باشا فثار في ايامه في سنة ١١٢٠ هـ امير المنتفك الشيخ مغامس وهجم على البصرة فاستولى عليها عنوة فاضطربت الاحوال وفقد الامن وسادت الفوضى فبلغ ذلك السلطان فاصدر أمره الى والي بغداد حسين باشا بجميع الجيوش واخراج الاعراب من البصرة فصدع الوالي بالامر وجاءته النجدات بامر من السلطان من حلب والموصل وديار بكر وشهرزور حتى اجتمع عنده جيش كبير فسار به قاصداً البصرة .

واتصل خبر هذه الحملة بمغامس فجمع الجموع من المنتفكين والنجديين واستعد للحرب وبنى قلعة كبيرة على نهر عنتر في القورنة حشد فيها جوعه فوصله الجيش العثماني فاحاط به من كل الجهات فدارت بين الطرفين حرب هائلة انتهت بهزيمة امير المنتفك في سنة ١١٢١هـ فاحتل حسين باشا القورنة ثم توجه الى البصرة فدخلها ظافراً فوجهت ولايتها

الى كتخدا بغداد مصطفى اغا و بعـد ان نظم حسين باشا شؤ ون البصرة وجعل عليها حامية عاد الى بغداد وعادت الجيوش الى اماكنها وانتهت تلك الفتنة .

وبقيت ولاية البصرة تنتقل من وزير الى آخر كلهم من الاتراك العثمانيين من سنة ١١٢٤ هـ الى سنة ١١٥٦ هـ ولم يحدث فيها في هذه المدة غير تبديل الولاة و بعض الحوادث الطفيفه بين القبائل العربية تارة وبينهم وبين الولاة اخرى مما لا اهمية له .

اغارة نادر شاه على البصرة

عندما خلع الشاه عباس الثالث الصفوي وتوصل القائد الفارسي نادرخان الى الجلوس على عرش ايران وقرض الدولة الصفوية واعلن ملوكيته في سنة ١١٤٨ هـ وسمي نادرشاه ولقب نفسه بطهماسب الثالث طمع بالعراق فاشهر الحرب على الدولة العثمانية واغار على البصرة والقورنة في سنة ١١٥٦ هـ ثم توغل في البلاد الفراتية ووصل الحلة ثم حاصر بغداد في عهد الوزير احمد باشا فلم يتمكن من اخذها وظلت الحرب بينه وبين الاتراك الى سنة ١١٥٩ فتم الصلح بينه وبينهم ولم نقف على تفاصيل هذه الغارة على البصرة والظاهر انه لم يدخل المدينة .

وظل العثمانيون بعد هذه الحادثة يولون على البصرة متسلماً بعد متسلم

الي سنة ١١٨٨ ﻫ ولم يحدث فيها في هذه الاعوام الطوال شيء يستحق الذكر سوى ثلاث حوادث الاولى ثورة امير قشعم محمد بن مانع في سنة ١١٣٧ ﻫ فاخضعه والي البصرة عبد الرحمن باشا ثم عفى عنه وامنه بعد ان اخذ منه اموالاً كثيرة . والثانية هجرت الشيخ سليمان رئيس قبيلة بني كعب والتجائه بكريم خان الزندي في سنة ١١٧٨ ﻫ فاسكنه مع قبيلته بارض الدورق . وصار تابعا للفرس بعد ما كان تابعا للدولة العثمانية بسبب ما قاساه من ظلم والي بغداد عمر باشا . والثالثة صدور أمر والي بغداد عمر باشا الى متسلم البصرة سلام اغاسى محمد اغا بقتل جماعة من الوجوه و بمصادرة اموال بعض القبائل مما سبب الاختلال بالبصرة .

استيلاء كريم خان الزندي على البصرة

كانت احوال البصرة مضطربة جدا في عهد والي بغداد عمر باشا في الوقت الذى كان فيه امر كريم خان الزندي المتغلب على مملكة ايران قد قوي فاغتنم فرصة ذلك الاضطراب فاعلن الحرب على العثمانيين وارسل اخاه صادق خان بجيش كبير في اواخر سنة ١١٨٨ ﻫ فحاصر البصرة ومعه الشيخ سليمان رئيس بني كعب بقبائله وعلي البصرة يومئذ

متسلما سليمان بك احد المماليك الاترك المعروف بأبي سعيد الذي تولى امارتها في سنة ١١٨٢ﻫ . فدام الحصار ثلاثة عشر شهراً في عهد السلطان عبد الحميد الاول حتى اضطر المتسلم سليمان بك بعد الدفاع الطويل الى التسليم فى سنة ١١٩٠ ﻫ (وسبب ذلك تقاعد والي بغداد عمر باشا عن نصرته مع ان السلطان كان قد ارسل نجدة ومالاً لصد الفرس وارسل جماعة من القواد الكبار الى بغداد ليجهزوا الجيوش فطمعوا بالمناصب والاموال وتقاعدوا عن امر البصرة ثم حدثت بينهم فتن عديدة مما لامحل لذكرها في هذا المختصر على ان المنتفكيين كانوا قد جاؤا نجدة للبصريين وقاتلوا معهم ولكنهم لما طال امد الحصار رجعوا الى مواطنهم)

ولما دخل صادق خان البصرة بعد ان امن المتسلم والوجوه اسر المتسلم وجماعة من الاشراف والاعيان والتجار وساقهم مخفورين الى شيراز عاصمة اخيه كريم خان واضطهد الاهلين حتى اذا ما كانت سنة ١١٩٢ ﻫ حدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد المنتفك فجهز جيشا كبيراً فسيره بقيادة اخيه محمد علي خان وعلى المنتفك يومئذ الاميران ثامر بن سعدون و ثويني بن عبد الله . فبلغ ذلك المنتفكيون فاستعدوا للقتال واجتمعوا بالفضيلة (ويروى الفضيلة) قرب الفرات فالتقى الجيشان فاستمرت الحرب يوماً وليلة و كانت حرب عنيفة فانجلت عن

انهزام الفرس اشنع هزيمة بعد ان قتل منهم عدد كبير فلحق المنتفكيون المنهزمين وطاردوهم فغرق عدد كثير من الفرس في الفرات وغنم المنتفكيون اموالهم وخيولهم وعادوا منصورين الى مواطنهم .

اما صادق خان فانه حنق على المنتفكيين حنقاً شديداً عند وصول شراذم جيشه المنهزمين وصمم على الانتقام منهم فجهز في سنة ١١٩٣هـ جيشا جديداً لغزوهم وسيره بقيادة محمد علي خان ايضا وارسل معه اخاه الآخر مهدي خان والشيخ سليمان رئيس بني كعب بقبائله العربية القحطانية. فبلغ خبر تلك الحملة المنتفكيين فاستعدوا للحرب فالتقى الجمعان بابي حلانة فاراد المنتفكيون الصلح عندما شاهدوا كثرة العدد والعدد غير ان نفوسهم ابت قبول الشروط التي شرطها القائد الفارسي ففضلوا الموت على الذل فجرت بين الفريقين حرب دموية هائلة استمات فيها العرب فهجموا هجمات عنيفة لم يسمع بمثلها فانتهت الحرب بتمزيق الجيش الفارسي ووقوع القائد محمد علي خان واخوه مهدي خان قتيلين مع من قتل من الفرس فانهزم من بقي منهم فطاردهم العرب ولحقوا فلولهم الى البصرة وهناك حاصروهم فيها بعد ان غنموا منهم اموالاً وسلاحاً وخيلاً واتفق في اثناء ذلك موت كريم خان الزندي ووصول نعيه الى البصرة.

فلما دخل المنهزمون من الفرس البصرة وحاصر العرب المدينة

حتى ضيقوا على حاميتها خاف صادق على نفسه من ان يمد والي بغداد المتفكين فيقع في الاسر وقد اصبح بعد موت اخيه وحيداً لا ناصر له خصوصاً وان زكي خان كان قد تغلب على عرش ايران فانهزم من البصرة ليلاً باتباعه في السنة نفسها (١١٩٣) فدخلها المتفكيون و كتبوا بذلك الى حكومة بغداد وعلى ولايتها يومئذ الكتخدا اسماعيل بك و كيلا فارسل الى البصرة متسلما نعمان بك وانتهت هذه الحادثة بعد ان دام حكم الفرس بالبصرة نحواً من ثلاث سنوات .

تسلم نعمان بك متسلمية البصرة وعلى اثر وصوله اطلق الفرس الاسراء ومن جملتهم سليمان بك المتسلم فارجعه السلطان الى منصبه بعد ايام قليلة ثم وجه اليه بعد اشهر ولاية العراق فعرف بالوزير سليمان باشا الكبير و بعد وصوله بغداد بايام ارسل سليمان افندي متسلما للبصرة في سنة ١١٩٤ هـ

وفي ايام سليمان افندي المتسلم في سنة ١١٩٩هـ ثار امير خزاعة محمد بن حمود على الحكومة فشن الغارات على اطراف البصرة فاستنجد المتسلم بسليمان باشا فجهز له جيشا كبيراً فالتقى الجيش بالثائر في الاهواز فانتصر عليه وفرق جموعه وفر حمود الى الحسكة وعلى اثر ذلك عزل سليمان افندي في سنة ١٢٠٠ هـ وارسل بدله من بغداد ابراهيم بك متسلما على البصرة .

١٤٧

استيلاء المنتفكين على البصرة

كان قد خرج على حكومة بغداد رجل يدعى عجم محمد فجمع الجموع من اهل البلاد والقبائل فقاتله الوزير سليمان باشا حتى مزق جموعه فتلاه سليمان بك الشاوي فثار ايضا على الوزير طمعاً في منصبه وحاول على ماينقل تأسيس دولة عربية في العراق ولكنه فشل وتمزقت جموعه فالتجأ بامير المنتفك ثويني بن عبد الله كما التجأ عجم محمد بأمير خزاعة حمد بن حمود فاغرى كل منهما صاحبه على الثورة فاتفق الجميع على قتال سليمان باشا وخلعه من ولاية العراق فاجتمعوا واعلنوا الخروج فحملوا على البصرة وزعيمهم امير المنتفك ثويني ولكن كل من الاربعة يريد الولاية لنفسه . فهجموا على البصرة في اواسط سنة ١٢٠٠هـ وبعد حرب طفيفة استولوا عليها وقبضوا على متسلمها ابراهيم بك فحبسوه وصادروا امواله ثم نفوه الى مسقط وصادروا اموال اكثر التجار وجبوا الرسوم والضرائب وضيقوا على الناس حتى اضطر اكثرهم الى الهجرة الى بغداد وغيرها .

واتصل خبر هذه الحادثة بالوزير سليمان باشا فجهز جيشا كبيراً من العرب والاكراد والانكشارية وغيرهم وسار به نحو البصرة على طريق

المنتفك وهناك التقى بالثائرين في محل يسمى ام العباس فاوقع بهم ومزقهم فانهزم اميرهم ثويني فولى الوزير علي المنتفك امراً حمود بن ثامر بن سعدون ثم سار الى البصرة فانهزم منها من كان فيها من الثائرين فدخلها بسلام في اواخر سنة ١٢٠١ هـ وبعد ان نظم شؤونها ولى عليها متسلما مصطفى اغا الكردي وجعل لحمايتها فرقة من عساكر الاكراد وعاد هو ومن معه الى بغداد .

القلاقل في البصرة
وغارة امير نجد عليها

بقي مصطفى اغا الكردي على البصرة الى سنة ١٢٠٣ هـ فامتنع عن ارسال الخراج الى بغداد وعصى على الحكومة وبعد حوادث طويلة قتل رئيس بوارج الدولة مصطفى اغا الحجازي وسعى في ايقاد ثورة في البلاد ولكنه لم ينجح في مسعاه فزحف عليه الوزير سليمان باشا بجيشه حتى دني من البصرة فانهزم مصطفى اغا الى الكويت فدخل الوزير البصرة فولى عليها متسلماً عيسى بك المارديني وذلك في سنة ١٢٠٤ هـ .

وظل عيسى بك في منصبه الى سنة ١٢٠٨ هـ فعزله الوزير وارسل بدله عبدالله اغا فمكث في منصبه الى سنة ١٢١٣ هـ فحدث بينه وبين الوزير سليمان باشا خلاف فعصى عليه فجهز الوزير لقتاله جيشاً فانهزم

عبدالله اغا ولكنه بعد ايام قليلة سار الى بغداد وخضع للوزير وطلب عفوه فعفى عنه وارجعه الى منصبه في سنة ١٢١٤ ﻫ فدام حكمه في البصرة الى سنة ١٢١٦ ﻫ فعزله الوزير وارسل بدله صهره سليم بك .

ولما مات الوزير سليمان باشا الكبير ببغداد في سنة ١٢١٧ ﻫ عزل صهره سليم بك عن البصرة (١) وارسل بدله ابراهيم اغا متسلماً .

وفي ايام المتسلم ابراهيم اغا هذا في سنة ١٢٢٠ ﻫ زحف أمير نجد سعود بن عبد العزيز بجموعه على البصرة فهجم عليها فدافع المتسلم دفاعاً شديداً حتى ضاق الحال باهل المدينة فاستغاثوا بالمنتفكيين فجاءهم حمود بن ثامر بجموعه نجدة فاضطر امير نجد الى الانسحاب ولكنه عند عودته احرق بعض القرى ونهب وخرب .

وعزل المتسلم ابراهيم اغا في سنة ١٢٢٣ ﻫ وارسل بدله من بغداد سليم بك فاستقر أمره في البصرة حتى اذا ما كانت سنة ١٢٢٥ﻫ حدث بينه وبين الوزير سليمان باشا القتيل وحشة فاوعز الوزير الى امير المنتفك حمود بن ثامر بطرده من البصرة فحمل عليه حمود ففشل المتسلم وتفرقت جموعه فاضطر الى الهزيمة فدخل حمود البصرة وكتب بذلك الى الوزير فارسل اخاه احمد بك متسلماً للبصرة في السنة نفسها .

وعلى أثر قتل الوزير سليمان باشا الصغير (او القتيل) عزل اخوه احمد

(١) وسليمان باشا هذا هو الذي جدد سور البصرة واسواقها وعمر قصبة الزبير ،

بك عن البصرة ووجهت متسلميتها الى رضوان اغا في سنة ١٢٢٦ ﻫ ثم عزل وارسل بدله يعقوب اغا سنة ١٢٢٧ﻫ فعزل ايضاً في سنة ١٢٢٨ ﻫ وتولى مكانه سعيد اغا فعزل بعد سنة وارسل بدله في سنة ١٢٢٩ ﻫ بكر اغا فمكث هذا في منصبه الى سنة ١٢٣٦ ﻫ فعزل وخل مكانه محمد كاظم اغا باني السوق المعروف اليوم بسوق كاظم أغا . وفي ايامه خرج على الحكومة محمد بن ثاقب بن وطبان الزبيري فهجم بجموعه على قصبة الزبير اولاً فصده عنها اهلها بمساعدة آل الزهير ثم قصد البصرة فجمع كاظم اغا الاهلين وضم اليهم جيشه فدافع حتى تمكن من طرد الثائر .

وعزل كاظم اغا في سنة ١٢٣٩ ﻫ فعين متسلماً على البصرة عبدالغني أغا فعزل بعد سنة .

غارة المنتفكيين

وهجوم بني كعب على البصرة

تولى متسلمية البصرة في سنة ١٢٤٠ ﻫ عزير اغا وكان اهلاً لهذا المنصب فدام حكمه الى سنة ١٢٤٧ ﻫ وفي ايامه في سنة ١٢٤٣ ﻫ عزل الوزير داود باشا حموداً عن امارة المنتفك لامور نقمها عليه وولى بدله على المنتفك عقيل بن محمد بن ثامر فثار غضب حمود واعلن الخروج على

الدولة وجمع الجموع وسيرها بقيادة ابنيه ماجد وفيصل لاخذ البصرة وخشي الفشل فراسل سلطان مسقط السيد سعيد ورؤساء بني كعب يطلب منهم النجدة فجائته نجدة مسقط في السفن ونجدة بني كعب على الخيل ،فنزل ماجد بالجيش البري قريباً من نهر معقل (١) ونزل فيصل بالجيش البحري أو النهري بابي سلال فلما تكاملت الجيوش حاصرا البصرة براً ونهراً فدافع البصريون دفاعا شديداً وعاضدهم بنو عقيل النجديين وقاتلوا معهم فدامت المعارك بين الفريقين نحواً من شهرين فانجلت عن هزيمة الماجدين في السنة نفسها .

وفي ايامه في سنة ١٢٤٦ هـ على اثر عزل الوزير داود باشا وأسره وتولية امارة العراق على باشااللاظ هجمت عشيرة بنى كعب على البصرة فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ومعاضدة بني عقيل النجديين فطردوهم خاسرين .

وعلى أثر هذه الحادثة عزل على باشاعزيز اغا وارسل بدله متصلما على البصرة عبد القادر باشا فمات هذا بالبصرة في مرض الطاعون بعد بضعة اشهر من توليته . وعزيز اغا هذا هو الذي جدد بناء مسجد بدر المتصل بسوق كاظم اغافعرف بجامع عزيز اغا .

---

(١) نهر معقل احد انهار البصرة القديمة وينسب الى معقل بن يسار بن عبدالله الذي احتفره ومعقل هذا من مشاهير البصرة وقد توفي في ايام معاوية بن ابي سفيان .

البصرة بعد الوزير داود باشا

كانت البصرة في عهد الوزير داود باشا امير العراق قد اخـذت تدب فيها روح المدنية ولكنها ما كانت تنجو من ظلم متسلميها المستبدين من المماليك الاتراك[١] حتى اذا ما انتهت حكومة المماليك من العراق في سنة ١٢٤٧ هـ بعد اسر الوزير داود باشا وشرع ولاة بغداد في بعض الاصطلاحات نالت البصرة شيئا قليلا من ذلك الاصطلاح وظلت تابعة تارة لولاة بغداد يولون عليها من شاؤا من اعوانهم واحيانا يرشح الولاة من ارادوا فيصدر امر السلطان بتعيينه وآونة يرسل السلطان متسلما عليها من عاصمته ، وبقي الحال على ذلك الى سنة ١٢٨٨ هـ بعد عزل الوزير مدحت باشا فانفصلت البصرة عن ولاية بغداد وربطت بالعاصمة (الاستانة) وصار السلطان يرسل اليها المتصرفين تارة والولاة اخرى ولكن اهلها ذاقوا مرارات انواع المظالم من اولئك الرجال الذين تواردوا عليها ممن لا يهمهم غير جمع الاموال بحق او بغير حق ولا تأخذهم في قبول الرشوة لومة لائم .

---

(١) وقد حكم البصرة جماعة كبيرة من المماليك الاتراك اشهرهم سليمان بك الذي تولى متسلميتها في سنة ١١٨٢هـ وسليم بك الذي قتله عبد الله باشا والي بغداد في سنة ١٢٢٥هـ

ومن الحوادث التي جرت بعد عهد الوزير داود باشا . اخذ عدة مقاطعات من الشيوخ كاراضي مهيجران ونهر حوز وغيره من المتغلبين وضمها الى اموال الدولة في عهد والى بغداد رشيد باشا الكوزلكي في سنة ١٢٧٣ هـ واخذ مقاطعات أخرى من بعض رؤساء القبائل وضمها الى خزينة الدولة في ايام نامق باشا والي بغداد في سنة ١٢٨٢ هـ وسبب ذلك على مانقل انهم كانوا قد تغلبوا على تلك الاراضي واخذوها من الحكومة يوم ضعفها بغير حق .

ومنها هياج وجوه البصريين على المتسلم سليمان بك التركي (١) الذي تولى البصرة في سنة ١٢٨١ هـ فظلم اهلها وابتز اموالهم حتى اضطروا الى رفع الشكوى الى والي بغداد تقي الدين باشا فاكتفى الوالي بتقريعه فلم ينته فلما تولى ولاية بغداد نامق باشا رفعوا شكواهم اليه فعزله .

ومنها ان الحكومة بدأت باخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب منذ سنة ١٢٨٢ هـ ثم ربطت اكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب في سنة ١٢٨٦ هـ وفوضت في السنة نفسها اكثر الاراضي

---

(١) وسليمان بك هذا من المماليك الاتراك ويقال انه جاء من الاستانة منفيا الى بغداد وهو والد محمود شوكت باشا الشهير .

الاميرية ببدل المثل . واسست دائرة البلدية في المدينة ثم اردفتها بتأليف محكمة التميز وسيرت سفناً بخارية في دجلة بين بغداد والبصرة في سنة ١٢٨٥ هـ في عهد الوزير الخطير مدحت باشا. ومنها نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة في سنة ١٢٩٢ هـ وجعلها ولاية بعد ان كانت متصرفية وعزل ناصر باشا في سنة ١٢٩٤ هـ وارجاع البصرة متصرفية في سنة ١٢٩٧ هـ

البصرة في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني

كانت البصرة متصرفية الى ايام السلطان عبد الحميد الثاني وظلت على حالها حتى اذا ما كانت سنه ١٣٠١ هـ جعلت ولاية عثمانية فتوالى عليها الولاة الاتراك الذين كانوا يرسلون من الاستانة وكان معظمهم من المستبدين في الاحكام لا يبالون بالظلم وقبول الرشوة وابتزاز اموال الناس من اي وجه كان ولا يهمهم غير منافعهم الشخصية الا من ندر منهم ولم يحدثوا اصلاحاً يذكر ولا قاموا بعمل حيوي ، ومن اشهر هؤلاء الولاة المشير نافذ باشا الذي تولى سنة ١٣٠٥ هـ وهداية باشا المتولي سنة ١٣٠٦ هـ وفخري باشا الذي تولى وكالة الولاية في سنة ١٣٢٢ هـ ومخلص باشا المتولي سنة ١٣٢٢ هـ غير ان هذين الاخيرين من خيرة الولاة الذين

جاؤا في العهد الحميدى خصوصاً مخلص باشا فانه كان من المصلحين

على اننا لا ننكر ان هذه المدينة زادت عمارتها ونفوسها في عهد السلطان عبدالحميد خان الثانى وصارت حسنة الاسواق كثيرة العمائر مع ما كان يحدث فى ذلك العهد من الاضطرابات بسبب هجمات اللصوص عليها اذ كانت فيها يومئذ عصابات مؤلفة من الاعراب والعبيد المتشردين فكانوا يهجمون على المدينة تارة ليلاً واحياناً نهاراً فيدخلونها بصورة مريعة فيقتلون وينهبون ثم يعودون الى اماكنهم بعد ان يأخذوا ما شاؤا من النقود التي للتجار سواء كانت فى الدور أم في المخازن أم في الاسواق وعدا ذلك فقد كانت الطرق في اكثر الاحيان يقطعها اللصوص أو الاعراب الثائرين على الحكومة فينقطع سيرالبواخر في دجلة و يمكننا ان نقول كانت الفوضى ضاربة اطنابها في البصرة وما حولها في العهد العثمانى الاخير .

اما العلوم فلم يكن لها اثر في هذه المدينة ولا كان فيها غير عدد قليل من المدارس الابتدائية الرسمية التي أسست في العهد الحميدي . ومهما كانت حالة البصرة غير مرتاحة في عهد عبدالحميد فانها كانت يومئذ قد زادت عمارتها وتوسعت واخذت تجارتها بالرقي و زادت ثروة اهلها و كثرت نفوسها بسبب كثرة القادمين اليها للاتجار من بلاد مختلفة .

البصرة بعد اعلان الدستور

اخذت هذه المدينة تسير نحو الرقي والعمران منـذ اعلنت الدولة العثمانية الحكم بالدستور في سنه ١٣٢٦ ه وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجرى فيها بعض الاصلاح . ومن اشهر ولاتها في ذلك العهـد عارف بك المارديني الذي تولى في اول سنة ١٣٢٧ ه وسليمان نظيف بك الكاتب التركي المشهور المتولي في آخر سنة ١٣٢٧ ه . ولو لا الفتن التي كانت تثيرها يد المغرضين حينئذ لكزهت البصرة في تلك الايام . ويمكننا ان نقول انها ارتاحت كثيراً في ذلك العهد وان حدثت فيها بعض الاضطرابات التي لانرى الوقت مساعداً لذكرها في هذا المختصر ويحق لنا ان نقول ان البصرة لم تر عهداً بعد العصر العباسي الاول مثل عهد الدستور من حيث النهضة التجارية والحركة العمرانية والنظام الانتظام .

سقوط البصرة

بيد البريطانيين

قامت الحرب العامة في اواخر سنة ١٣٣٢ ه وعلى البصرة يومئذ وكيلاً للولاية القائد صبحي بك وكانت الحكومة العثمانية قد سيرت اكثر الجنود العراقية الى جهـات قفقاسيا وارسلت جيشا ضعيفاً نحو الخمسة آلاف جندي اكثرهم من العراقيين الى البصرة وسـدت شط

العرب عند الفاو فهجم اسطول البريطانيين على الفاو في منتصف شهر ذي الحجة من السنة المذكورة فاندحر الجيش العثماني بعد بضعة ايام ثم انسحب من البصرة في آخر يوم من هذا الشهر فدخل البريطانيون المدينة في اليوم الثاني من محرم سنة ١٣٣٣ ﻫ ثم سقطت القورنة في ٢٠ محرم سنة ١٣٣٣ ﻫ بعد معارك عنيفة قام بها القائد العثماني صبحي بك حتى نفذت ذخائره الحربية فاضطر الى التسليم .

وحاول العثمانيون استرداد البصرة من البريطانيين فجمعوا جيشا كبيراً فحدثت بين الفريقين حروب دامت ثلاثة ايام في الشعيبة فانتهت بفشلهم وبانتحار القائد سليمان عسكري بك وذلك في شهر جمادي الاخرة سنة ١٣٣٣ ﻫ وعلى اثر ذلك سقطت العمارة في اوائل شهر رجب ثم سوق الشيوخ في اوائل رمضان ثم الناصرية في اليوم التاسع من رمضان وبقيت الحروب بين الدولتين حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين في ١٥ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ﻫ الموافق ل ١١ آذار سنة ١٩١٧ م.



تنبيه

جاء في حاشية الصفحة الحادية عشرة (و بقي شريح على القضاء الخ) والاصح ان عمر نقله الى قضاء الكوفة فظل على قضائها الى ايام الحجاج .

وجاء في صفحة ٢٢ في السطر الحادي عشر (ولكنه عزله في سنة ١٣٩) وولى عليها سفيان) والاصح ان سليمان بقي في البصرة حتى مات بها في سنة ١٤٢هـ .

ولما كانت اكثر الكتب اليوم لا تخلوا من الأغلاط المطبعية وقد وقع في هذا المختصر بعض الاغلاط التي لا تخفى على رجال العلم فنلتمس من القراء الكرام ان يعذرونا عن ذلك .

كما انى أرجو ان يرشدونى الى موضع الخطأ التأريخي خدمة للوطن وان يعذروني عن ذكر الحوادث التي لا تساعد الظروف على نشرها .

انتهى

المأخذ

معجم البلدان لياقوت الحموي
وفيات الاعيان لابن خلكان
الاخبار الطوال لابي حنيفة
الدعاة
التمدن الاسلامي لجرجي زيدان
دائرة المعارف لفريد وجدي
تاريخ ابن الاثير
تاريخ الامير حيدر
قرة العين في تاريخ بغداد والبصرة وبين النهرين لرشيد السعدي
خلاصة تاريخ العراق للاب انستانس
الفوز بالمراد » »
تاريخ الادب العربى
تاريخ احمد رفيق التركي
تاريخ نعيما التركي
سالنامة البصرة لسنة ١٣١٨ﻫ لمحمد نجيب بك آل بابان
مطالع السعود
القرماني

المآخذ

التحفة النبهانية للشيخ محمد النبهاني

زاد المسافر لفتح الله العكي

تقويم العراق لسنة ١٩٢٣م لصاحب جريدة العراق رزوق افندي

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ليوسف افندي غنيمة



الفهرست

صحيفة

٣ الفصل الاول البصرة القديمة

٦ وقعة الحفير

٧ وقعة الثني

٧ مسير خالد الى الشام

٩ فتح الابلة

٩ تأسيس البصرة القديمة

١٢ البصرة في عهد الخلفاء الراشدين

١٤ وقعة الجمل

٢٤ امارة عبد الله بن عباس على البصرة

٢٧ البصرة في عهد الامويين

٢٨ امارة زياد على البصرة

٣٧ خروج البصرة من يد الامويين

٤١ امارة مصعب بن الزبير على العراق

٤٤ رجوع البصرة الى بني امية

٤٧ امارة خالد

٥٠ امارة الحجاج

٥٩ استيلاء بن الاشعث على البصرة

صحيفة

٥٣ استيلاء ابن المهلب على البصرة
٥٨ انقراض الدولة الاموية
٦٢ البصرة في عهد العباسيين
٦٣ فتنة ابراهيم بن عبد الله واستيلائه على البصرة
٦٥ الاضطرابات في البصرة
٦٧ البصرة في عهد الرشيد
٧٠ البصرة في عهد المأمون
٧٢ الفتن في البصرة
٧٣ استيلاء الزنوج على البصرة
٧٧ انتهاء امر الزنوج
٧٩ انحطاط البصرة وهجمات القرامطة عليها
٨١ الفتن في البصرة وهجوم القرامطة ايضاً
٨٣ ولاية ابن رائق على البصرة
٨٤ أستيلاء البريدي على البصرة
٨٦ استيلاء معزالدولة البويهي على البصرة والبصرة في عهد بني بويه
٨٨ امارة حبشي على البصرة وعصيانه
٨٨ امارة المرزبان وعصيانه
٩٠ عضد الدولة وشرف الدولة والبصرة

صحيفة

٩١ البصرة في ايام بهاء الدولة
٩٣ استبداد ابى العباس في البصرة
٩٤ البصرة في عهد سلطان الدولة
٩٨ البصرة في عهد السلجوقيين
١٠٠ غزو الاعراب البصرة واستيلائهم عليها
١٠١ استبداد اسماعيل بن سلانجق بالبصرة وعصيانه فيها
١٠٣ امارة سيف الدولة على البصرة
١٠٥ امارة آقسنقر البخاري على البصرة
١٠٦ استيلاء ابن سكبان على البصرة
١٠٧ رجوع البصرة الى الخلافة العباسية
١٠٩ استيلاء ابن شنكا على البصرة
١١٠ غزوة العامريين البصرة
١١١ البصرة في اواخر ايام العباسيين
١١٢ الدولة الايلخانية المغولية في البصرة او خراب البصرة القديمة
١١٩ الفصل الثانى البصرة الحديثة
١٢٠ البصرة الحديثة في عهد الايلخانيين
١٢١ البصرة في ايام الدولة الجلائرية وايام تيمور لنك
١٢٥ البصرة في عهد الدولة الصفوية

صحيفة

١٢٧ البصرة في العهد العثماني الاول

١٢٨ استقلال الامراء بالبصرة

١٣٦ ولاة البصرة الاتراك

١٣٨ هجمات المنتفكيين على البصرة

١٣٩ استيلاء المنتفكيين على البصرة

١٤٠ دخول البصرة في قبضة الفرس واخراجهم منها

١٤١ استيلاء المنتفكيين على البصرة ثانية وطردهم منها

١٤٢ اغارة نادرشاه على البصرة

١٤٣ استيلاء كريم خان الزندي على البصرة

١٤٣ استيلاء المنتفكيين على البصرة

١٤٨ القلاقل في البصرة وغارة امير نجد عليها

١٥٠ غارة المنتفكيين وهجوم بني كعب على البصرة

١٥٣ البصرة بعد الوزير داود باشا

١٥٤ البصرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

١٥٦ البصرة بعد اعلان الدستور

١٥٦ سقوط البصرة بيد البريطانيين

